

منه تراثنا الإسلامي في مقارنة الأديان

# مع الجاحظ

في درس

« الرد على النصاري »

د. إبراهيم عوض

## ١- رسالة الرد على النصارى

من بين رسائل الجاحظ رسالة عنوانها « الرد على النصارى » ، وقد نُشرت حتى الآن أربع نثرات على الأقل : النشرة التي طُبعت على حاشي كتاب « الكامل » للمبرّد ، ونشرة المستشرق بوضع فنكل ، ونشرة الأستاذ عبد السلام هارون ( وكانت كل من هذه النثرات الثلاث تضم مع الرسالة المذكورة غيرها من رسائل الجاحظ ) ، ثم نشرة د. محمد عبد الله الشرقاوي ( وقد طُبعت الرسالة في هذه النشرة مستقلة ) وسوف يكون رجوعى فى هذا البحث إلى نشرة الأستاذ هارون ، وهى فى ثمان وأربعين صفحة من النسخ المتوسط ملاحظات التحقيق

وحده الرسالة عبارة عن فصول متقطعة من كتاب للجاحظ فى الرد على النصارى قام باختيارها ( واختيار أمثالها من كتب أخرى لأدب العربية وبها سميتها العظيمة ) أدب غير مشهور اسمه عجب الله ابن حبان ( ١ ) . ويذكر القاسمى عند الجار أن للجاحظ رسالة فى الرد على النصارى ، وهما « الرسالة العسيلة » و « المختار فى الرد على النصارى » ( ٢ ) . فهل هما كتابان مختلفان ؟ أم هل الرسالة الثانية هى مجرد مختارات من الأولى ؟ لا نستطيع أن نجيب على

ذلك ، فإن « الرسالة العسلية » مازالت مفقودة حتى الآن فيما نعرف (٣) .

وفى الرسالة التى ندرسها فى هذه الصفحات يذكر الجاحظ بعضاً من شبه النصارى التى كتب له بها بعض الغيارى على الدين ممن أرادوا منه الرد عليها ، ثم يقف على ذلك بنقطة واحدة . وأهم ما جاء فى هذه الشبهات أن القرآن الكريم يذكر تأليه النصارى لمريم عليها السلام مع أنهم يشكرون اتخاذها إلهًا على أى نحو من الأنحاء ، وأنه قد ورد فيه أيضا أن اليهود كانوا يقولون ببنوة عزير لله سبحانه وتعالى ، وهم أيضا ينفون هذا ويجهدونه . ومن ذلك أن هاشم بن عبد مناف قد ذكر فى القرآن الكريم على أنه من حاشية فرعون ، مع أن المعروف أنه كان فى زمن الفرس بعد فرعون بدهر طويل . كما جاء فى القرآن عن يحيى بن زكريا عليهما السلام قوله سبحانه وتعالى : « لم نجعل له من قبل سمياً » ، رغم أنه كان هناك قبله من اسمه يحيى . كذلك يعترض النصارى على ما ذكره القرآن الكريم من أن عيسى قد تكلم فى المهد (٤) . ويبتدىء الجاحظ ، قبل الدخول إلى نقض هذه الشبهات ، بمناقشة الأسباب والظروف التى جعلت رأى عامة المسلمين فى النصارى طيباً على عكس نظرهم لليهود والمجوس ، ثم يشتكى ببيان الغلط فى

هذا الموقف ، موضحاً أن قوله تعالى : « ولتحدثن أزواجهن يومئذ بما كنتم تعملن » (١٥) لا يعنى النصارى بوجه عام بل فريقاً منهم مخصوصاً كبجرا والرهان الذين اتصل بهم سلمان الفارسي قبل أن ينسبهم له الطائفة إلى شررب حيث التفتى بالنسب عليه السلام وأمر به (١٦) .

وقد أبدى ابن خنبة سخطه على صبيح الجاحظ فى رسالته هذه فقال إنه قد عمل « كتاباً يذكر فيه جميع النصارى على المسلمين » فإذا صار إلى الرد عليهم نحرّج في الحجة ، كأنه إنما أراد تشبيههم على ما لا يعرفون وتشكيك الضعفة من المسلمين « (١٧) .

ولا يقتصر رأي ابن خنبة الشئ على هذا الكتاب وحده بل يعمل الجاحظ وأعماله كلها تقريباً ، إذ قال إنه « من أكذب الأمة وأوضعهم بالحديث وأضرهم لاطل » ، وأنه يفتد إلى الإصحاح والعت استعمالاً للأحداث وشباب الشبه ، ويستهرى بالحديث . كما يأخذ عليه تأليفه الكتب من نصرته الشئ ، ونفيظه معاً ، ويرى فى ذلك دليلاً على استواء الإحياس بالسؤولة لديه (١٨)

على أن صلاحية ابن خنبة حول ردود الجاحظ على شهادت النصارى إن صدقت على بعض هذه الردود ، إذ إن بعضها مبرج معللاً

ويفتقر إلى ما عُرفت به كتابات الجاحظ من التوسّع وتقليب الأمر على وجوهه المختلفة وتفنيد الأدلة الساطعة والحجج القوية البارعة ) (٩) فإنها لا ندل على ما اتهم به الكاتب السيّ نظيره المعتزلي من أن الأمر يبدو وكأنه قد أُرَادَ تنبيه النصارى على ما لا يعرفون وتشكيك الضعفة من المسلمين . كيف ذلك ولأبى عثمان كثير من الأعمال التى ينافع فيها عن دين الله ، ككتاب « الرد على اليهود » وكتاب « الرد على من ألحد فى كتاب الله عز وجل » وكتاب « نظم القرآن » وكتاب « آى القرآن » وكتاب « دلائل النبوة » مثلاً ؟

وقد ذكر المرزبانى أن له كتباً كثيرة مشهورة جليلة فى نصرته الدين ، وإن سارع فقال إنه « ليس فى تلقيع العقول وشعذ الأذهان ومعرفة أصول الكلام وجواهره وإيصال خلاف الإسلام ومذاهب الاعتزال إلى القلب كتب تشبهها » (١٠) . ثم إن فى رسالة « الرد على النصارى » نفسها أشياء جدّ قوية فى تسخيف اعتراضات النصارى وإبراز تفاهة مزاعمهم . ومن يدرى ؟ فلعله لو وصلتنا « الرسالة العسلية » لوجدنا فيها حججاً أخرى وتفصيلاً أكثر فى الرد على هؤلاء القوم .

ومن الأشياء المهمة التى تُذكر له ، رحمه الله ، أنه كان من

أواصل من تنهوا إلى أن القرآن حينما قال : « ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا : إنا نصارى » لم يقصد جميع النصارى بل طائفة منهم فقط أبدت المودة تجاه الإسلام ونبيه . وسوف نناقش هذه النقطة فيما بعد ، ونبين وجه الخطورة فى الظن بأن القرآن يشئ على النصارى رغم تثليثهم وتألبيهم لعيسى عليه السلام وقولهم بتجسد الله تعالى ونزوله إلى الأرض وموته صلباً وكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتكذيبهم للقرآن الكريم .

أما دفاع الجاحظ عن الشئ ، وتقيضه فهو لون من الترف الفكرى والحساسية العقلية التى ترى الجوانب المختلفة للأمور . وطبيعة الحياة أنه ما من شئ إلا ويسكن النظر إليه من زوايا متعددة . وقلما يوجد شئ كله خير فلا شر فيه ، أو كله شر فلا خير فيه . والقرآن الكريم نفسه يقول عن الحمر ، التى وصفها بأنها « رجس من عمل الشيطان » ( ١١١ ) ، إن فيها مع ذلك منافع للناس ( ١٢ ) . وهو رغم حملته على أهل الكتاب من يهود ونصارى يعود فيستثنى منهم فريقاً صالحاً ليس فيه عيوب سائر قومه . كذلك تكررت فيه الحملة على كنود الإنسان وكفره وظلمه ورجوعته ، ومع هذا فقد ذكر أن الله كرم الجنس البشري وفضلته على كثير ممن خلقهم تفصيلاً . وعلى أمة

حال ، فهذه أسماء عدد من الكتب التي يمدح فيها الجاحظ الشيء ويذمه : « كتاب العثمانية » وكتاب « الرد على العثمانية » ، وكتاب « إمامة معاوية » وكتاب « إمامة بنى العباس » ، ورسائله « فى مدح النبيذ » ورسائله « فى ذم النبيذ » ، ورسائله « فى مدح الوزّاق » ورسائله « فى ذم الوزّاق » ( ١٣ ) .

إن فى الجاحظ بل وفى المعتزلة جميعا جسارة عقلية ، وهذا ما لا يرنح إليه كثيرًا ابن قتيبة السّنى المحافظ . ولا ننس أنه كان يبين أهل السنة والمعتزلة خصومة فكرية ، وسياسية أيضًا .

أمّا دعوى ابن قتيبة بأن الجاحظ كان يصنع الأحاديث فتبدو بعيدة لا تُصَلِّق ، وكذلك القول بأنه كان يقصد الاستهزاء بالحديث النبوى الكريم ، إذ لا يفعل ذلك مسلم . إنما الأمر أن بعض العلماء قد يرون صحة حديث ما ، على حين بنفى صحته فريق آخر . وقد يخرج هؤلاء الأحيرون إلى السخرية ممن يتلون الحديث ، بل قد يرون فيه إساءة إلى الإسلام ومناقضة لأصوله المجمع عليها ، فيطر من قبلونه بل قد يثعنون عليهم أنهم إنما يستهزئون بكلام الرسول صلى الله عليه وسلم . وحاشا مسلمًا أن يجرؤ على هذا ! ثم إن الجاحظ كان بطبيعته مرحًا يحب الفكاهة والنادرة ، كما كان بارعًا فى التهكم

بخصوص فكرته أيما براعة ، على عكس ابن قتيبة الوقور الذي يبدو  
مما قرأناه له وكأنه لم يكن يعرف الضحك .

وليس معنى ذلك أننا نريد العوض من ذلك المفكر السنّي  
الكبير ، فللرجل أيادٍ جليلة على الأدب العربي والفكر الإسلامي . وإنما  
نريد أن نوضح البواعث التي حدثت به ، رحمه الله ، إلى تلك الحملة  
الشديدة على أبي عثمان . وكلاهما بعدُ مهبطٌ لدينه ، حريص على  
نصرته ، يقف بالمرصاد لكل من تتناول عنقه إلى النيل منه . لكن  
لكل منهما بعد ذلك طريقته وأسلوبه .

وإذا كان ابن قتيبة قد اتّهم طريقة الجاحظ في الرد على  
النصارى فإن الغزالي قد اتّهم هو أيضا بمثل ذلك ، إذ قال عن المنهج  
الذي اتبعه في عرض مذهب الباطنية : « فجمعتُ تلك الكلمات  
ورتيبها ترتيبا محكما للتحقيق واستوفيتُ الجواب عنها حتى أنكر  
بعض أهل الحق عليّ ما لفتني في تقرير حجّتهم ، وقالوا : هذا سعي  
لهم ، فإنهم كانوا يعجزون عن نصرته مذهبهم بمثل هذه التبهات لولا  
تحقيقتك لها وترتيبك إياها » (١٤) .

والواقع أن هذا الأسلوب هو أسلوب المنصفين الواصلين بأنفسهم ،  
فهم يريدون أن يعطوا لرأي خصمهم الفرصة كاملة ليعرف الجمهور كل



شيء ، عنه قبل أن يشرعوا في الرد عليه ، ثقة منهم أنهم قادرون على  
 تفنيده تماماً . وهذا الإنصاف هو سنة إسلامية ، فينبغي ألا تضيق  
 الصدور به . وهو موق ذلك يمكن لصاحبه في قلوب القراء ، إذ  
 يلمسون بأنفسهم صدقه في عرض رأي خصومه ، وهذا من شأنه أن  
 يميل آذانهم إليه ويجعلهم يظمنون إلى ما يقول . وفي كلام الجاحظ  
 نفسه في الرسالة التي نحن بصدها دليل على هذا الذي نقول ، إذ  
 جاء فيها : « فند جعلنا في جواباتهم وقلامنا مسائلهم بما لم يكونوا  
 ليبلغوه لأنفسهم ليكون الدليل تاماً والجواب جامعاً ، وليعلم من قرأ  
 هذا الكتاب وتدبر هذا الجواب أنا لم نغتنم عجزهم ولم ننتهز غررتهم ،  
 وأن الإدلال بالحجة والثقة بالفلج والثصرة هو الذي دعانا إلى أن نخبر  
 عنهم بما ليس عندهم وألا نقول في مسائلهم بمعنى لم ينتبه له منتبه  
 أو يُشرَّ إليه مستير وألا بوردوا على ضعفائنا ومن قَصُرَ نظره منا شيئاً  
 إلا والجواب قد سلف فيه وألسنتهم قد مذلت به » ( ١٥ ) .

وأخيراً أختتم هذه الكلمة بما قاله القاضي ابن أبي دؤاد في  
 الجاحظ حين أتى إليه به مقيّداً بعد الإيقاع بغريمه ابن الزيات ( الذي  
 كان الجاحظ منحاذاً إليه على حين كان منقبضاً عن محالس  
 القاضي ) ، إذ مال ابن أبي دؤاد على أحد الحاضرين قائلاً له :

« أنا أثق بطوره ولا أثق بدينه » (١٦) ، كما قال للمحافظ ذاته حين أخذ يدفع عن نفسه ما اتهمه به من كفران النعمة = « قَبَّحَكَ اللَّهُ ! ما علمتُك إلا كثير تزويق الكلام . وقد جعلت ثيابك أمام قلبك ، ثم اصطعيت فيه الكفر والنفاق » (١٧) ، إذ لعلَّ بعض الناس يسارع إلى كلام ابن أبي دؤاد متخذاً منه دليلاً على فساد دين الجاحظ وصحة ما قاله فيه ابن قتيبة . والحق أن ابن أبي دؤاد إنما قال ذلك على سبيل التطرف والمداعبة . وليس أقوى برهاناً على ذلك من أنه قد دعا بالحداد من فوره ليكسر قيود أبي عثمان ، ثم أمر غلامه أن يصير به إلى الحمام ويُغِيظ عنه الأذى وأن يعطيه ثُخْت ثياب وعباءة وخُفّاً . ثم لَمَّا عاد الجاحظ من الحمام أحلّسه في صدر مجلسه وأقبل عليه قائلاً : « هات الآن حديثك يا أبا عثمان » (١٨) . وقد كان ابن أبي دؤاد من رؤوس المعتزلة ، ولا يُعْتَقَل أن يكون رأيُه سيئاً حقاً في واحد من أهم المسئلة الاعتزالية .

وفي الصفحات التالية سوف نقوم بعرض شبهات النصارى التي أوردها الجاحظ في رسالته وناقشناها تفصيلاً ، مستعرضين أحياناً بعض أصدائها عبر العصور ومتوسعين في الرد عليها وتبيين عوارها ، مع الاعتماد أولاً وقبل كل شيء على مقالات اليهود والنصارى أنفسهم .

## الهوامش

- ١- انظر « رسائل الجاحظ » / تحقيق عبد السلام هارون / ٢ / ١٣
- ٢- انظر الفاضل عبد الحبار / تثبت دلائل النبوة / تحقيق د. عبد الكريم عثمان / ١ / ١٩٨
- ٣- انظر مقدمة د. محمد عبد الله الشرفاوي لكتاب نصر بن يحيى بن سعيد « المصحة الإيمانية في قصيدة الملة النصرانية » / ٣٦ .
- ٤- انظر « رسائل الجاحظ » / ٢ / ٢٠٤ - ٢٠٨ .
- ٥- المائدة / ٨٢ - ٨٥
- ٦- انظر « رسائل الجاحظ » / ٢ / ٢٠٨ - ٢١١
- ٧- أم قتيبة / تأويل مختلف الحديث / ٥٩
- ٨- التمام / ٥٩ - ٦٠ .
- ٩- كذلك ليس هي الرسالة رد على التهمة التي أدرها الصدوق حول يحيى عليه السلام
- ١٠- انظر « معجم الأدياء » لبافوت الحموي / ١٦ / ٧٦ - ١٠١ - ١٠٧ .
- ١١- المائدة / ٩٠
- ١٢- البقرة / ٢٦٩ .
- ١٣- انظر أسماء هذه الكتب في « معجم الأدياء » / ١٦ / ١٠٩
- ١٤- د. عبد الحلليم محمود / انقذ من الضلال لحنه الإسلام العراقي مع أبحاث في التصوف ودراسات عن الإمام العراقي / ٩٢٨
- ١٥- رسائل الجاحظ / ٢ / ٢٤٩ - ٣٥٠ . ومثلت به تكلمت به وأذاعته

١٦- معجم الأندلس / ١٦ / ٨٠

١٧- السابق / ١٦ / ٧٩

١٨- السابق / ١٦ / ٨٠

## ٢- عبادة مريم

ونبدأ بأولى الشبهات التي ذكرها الجاحظ ، وحى قول النصارى إن الدليل على بطلان القرآن الكريم وفساد أمر المسلمين « أننا نحن المسلمين ) ندعى عليهم ما لا يعرفونه فيما بينهم ولا يعرفونه من أسلافهم ، لأننا نزعم أن الله حل وعزّ قال في كتابه على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « وإذ قال الله يا عيسى من مريم : أنت قلت للناس : اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ؟ » (١) ، وأنهم زعموا أنهم لم يدينوا قط بأن مريم إله في سرهم ولا ادّعوا ذلك قط في علانيتهم » (٢) . وهذه الشبهة مما لم أحد للمحافظ ردّها عليها في الرسالة التي بين أيدينا ، ولا أدري لماذا .

وفي « دائرة المعارف الإسلامية : Encyclopaedia of Islam » نجد كاتب مادة « مريم » يجهد نفسه في إثبات أن القرآن قد أخطأ حين جعل النصارى يتخذون مريم إلهًا ، إذ قال إن الرسول ربما تأثر في تصويره ذلك بما تولّيه الكنيسة لمريم من تبجيل أو ربما كان ذلك منه استنتاجًا أساسه الخلط بين عيسى والروح القدس ، مما ترتب عليه خلوّ موضع من المواضع في الثالث بدت له مريم جديرة بشغلّه (٣) .

وقد كنت قرأت ، فما أذكر الآن ، لمستشرق بريطاني قسيس  
 يكر ما جاء في هذه الآية ، ويؤكد أنه لا يحدث أن عبد النصارى  
 مريم في أى وقت من الأوقات ولا يكتب بهذا بل اتهم الرسول  
 صلوات الله وسلامه عليه بأنه إنما كان يستقى مثل هذه المعلومات عن  
 النصرانية من العوام والجهلة ، الذين لا يؤثق بهم ولا يعول على ما  
 يقولون

كذلك فقد كتب الأبنا مندوة في أواخر عام ١٩٧٠م ، قبل أن  
 يتولى البابوية ، مقالاً عن « القرآن والمسيحية » ذكر فيه الآية القرآنية  
 التي نحن بصددحها ، وأنكر بقوة أن تكون المسيحية قد قالت في يوم من  
 الأيام بالوهمية العذراء ، ثم أضاف قائلاً إنه « إذا كانت قد قامت  
 بدعة تنادى بتأليه العذراء فإن المسيحية تحاربها بكل قوة » (٤) .

كما جاء أيضاً في مادة « مريم » في « الموسوعة العربية  
 الميسرة » أنها ليست موضوع عبادة عند النصارى لأن العبادة للمخلوق  
 وحده (٥) . ومن الواضح أن كاتب هذه المادة قد أراد تكذيب القرآن  
 من طرف خلفي ، وإلا فما الذى دعاه الى هذا القول إن لم يكن النصارى  
 قد عبدوها وأنهوها ؟

والواقع أن الآية القرآنية الكريمة لم تنعكس الحقيقة وأن كل من

يعترض عليها أو يحاول لمزها إنما هو المبطل وقد ذكر ابن البطريق ، وهو مؤرخ نصراني شديد التعصب ، أن من النصارى من كان يقول إن المسيح وأمه إلهان من دون الله ، وهم طائفة « البربرانية » (٦) .

ومى مادة « Mary the Virgin » من Dictionary of the Bible (٧) وهو معجم للكتاب المقدس شديد الصخامة اشترك فى تأليفه علماء متخصصون عرييون ، وفيهم كثير من رجال الدين نجد أنه كان من النصارى طوائف تعبد مريم مع المسيح عليه السلام . بل إنه حتى فى « دائرة المعارف الإسلامية » نجد كاتب مادة « مريم » ، وهو نفس المستشرق الذى حفظاً القرآن فى هذه المسألة ، يعترف بأنه كان هناك فعلاً من النصارى من يعبدون مريم ويتخذونها إلهاً جاعلين منها أقنوماً من أقانيم الثالوث (٨) .

ومى مادة « Mary » فى « موسوعة الدين والأخلاق : Encyclopaedia of Religion and Ethics » كلام كثير عن شعائر العبادة لمريم ، وكيف نشأت هذه العبادة ثم تطورت على مر العصور عند الكنائس النصرانية المختلفة ، وكيف ترتفع الصلوات إليها ويطلب منها ما ينغى ألا يطلب من غير الله سبحانه ، ويخلع عليها من الصفات ما هو من حقه تعالى وحده ... إلخ (٩) .

ومى « الموسوعة البريطانية » Encyclopaedia Britannica « أيضا حديث عن عادة النصارى لمريم عليها السلام بوصفها أم الإله ، إذ يصلون لها ويسبحونها ويتجهون إليها بالدعاء والمطالب المختلفة لتحققها لهم (١٠) .

ومى « موسوعة كولبييه » Collier's Encyclopaedia « غرأ النص التالى ، وهو على عى أى تعليق : « وقد ترتب على كون مريم أم الإله انها صافت فى النسل جميع البشر ، واحتلت من حيث القداسة المكانة التالية مباشرة لابنها الإله . وقد كرمتها الكنيسة ومبزتها تمجيد خاص يختلف عن ذلك الذى خلعتة على القديسين الآخرين .. وكذلك مالعادة ، التى هى من حق الله وحده ... إلخ » (١١) .

وقد أكد ول دبورانت « أن المسيحية لم تفص على الوثنية بل تبنتها .. وانتقلت الطقوس اليونانية الحفية الى طقوس القداس الخفية الرهيبة ... ( ر ) جاءت من مصر آراء الثالوث المقدس .. ومنها جاءت عبادة أم الطفل .. ومن فريخيا جاءت عبادة الأم العظمى .. وقصارى القول ان المسيحية كانت آخر شىء عظيم اندعه العالم الوثنى القديم » (١٢)

وبذكر رجل دين نصرانى هو القمص زكريا إبراهيم « أن هذه



الفرقة ( يقصد الفرقة التي تعبد مريم ) ظهرت فى القرن الخامس الميلادى . وكان أصحاب هذه البدعة من الوثنيين الذين اعتنقوا المسيحية ، وكانوا فى وثنيتهم يعبدون الزهرة ويقولون عنها : « ملكة السماء » . وعندما اعتنقوا المسيحية حاولوا التقرب بين ما كانوا يعبدون وبين العقيدة المسيحية ، فاعتبروا مريم ملكة السماء أو إلهة السماء بدلا من الزهرة ، ولذلك أطلقوا على أنفسهم اسم المريميين « (١٣) .

وفد ذكر هذه الفرقة أيضا مؤلف نصرانى آخر هو زكى شنودة فى كتابه « تاريخ الأقباط » (١٤) .

وهذا الذى يقوله أهل البيت العالمون بخباياه وخباياه لم يكن بجهله علماء الإسلام منذ وقت جة مبكر . فهذا فتادة ، وهو من التابعين ، يقول : « اجتمع نو إسرائيل فأخرجوا أربعة نفر ، أخرج كل قوم عالمهم ، فاستروا فى عيسى حين رُفع . فقال بعضهم : هو الله ، حبط إلى الأرض فأحيا من أحياء وأمات من أمات ثم صعد إلى السماء . وهم اليعقوبية . فقال الثلاثة : كذبت . ثم قال اثنان منهم للثالث : قل أنت فيه . قال : هو ابن الله . وهم النسطورية . فقال الاثنان : كذبت . ثم قال أحد الاثنين للآخر : قل فيه . قال : هو

ثالث ثلاثة : الله إله ، وهو إله ، وأمه إله . وهم الإسرائيلية ملوك  
 النصارى . فقال الرابع : كذبت ، هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته  
 وهم المسلمون . فكان لكل رجل أتباع على ما قالوا ، فاقتتلوا فظهروا  
 على المسلمين « (١٥) . وقتادة بشير فى كلامه هذا إلى المؤتمرات  
 العقيدية التى كان يعقدها النصارى فى القرون الأولى من تاريخهم  
 والخلافات التى كانت تنشب بين بطاركتهم فى هذه المؤتمرات وكيف  
 انتهى الأمر إلى تسلط الاتجاه الوثنى على عقيدة الموحدين .

وقد تحدث عن ذلك الراحل الإسبانى أنسلم تورميديا ، الذى ترك  
 النصرانية ودخل فى دين التوحيد رضى عن الله الترجمان ، إذ يقول  
 عن أهل ملته الأولى إنهم « يؤمنون بأن الله ، تعالى عن قولهم ،  
 ثالث ثلاثة ، وأن عيسى هو ولد الله ، وأن له طبيعتين : ناسوتية  
 ولاهوتية ، وهاتان الطبيعتان صارتا شيئا واحدا فصار اللاهوت إنسانا  
 محدثا تاما مخلوقا ، وصار الناسوت إلها تاما خالقا غير مخلوق .  
 وبعضهم يقول : الثلاثة هم الله تعالى وعيسى ومريم » (١٦) .

وقد ذكر هذه الفرقة أيضا ابن حزم ، وقال ( مثلما قال ابن  
 البطريق من قبل ) إن اسمها « البربرانية » . كما أشار إلى أن  
 النصارى يسجدون ( فيما يسجدون له من تماثيل ) لتمثال مريم

ويصومون له تدينا (١٧) .

كما أورد بعض علماء المسلمين ما يدعوها به النصارى فى صلواتهم مثل : « يا والدة الإله العذراء ، استعنى فى خلاصنا وافرحى يا والدة الإله . مباركة أنت فى النساء ، ومباركة شجرة بطنك ، لأنك ولدت لنا صخلصا يا والدة الإله . مباركة لا تغفل عن وسيلتنا . ونحن من المعاطيب فى هذه الصلاة » ، وغير ذلك (١٨) .

وفى كتاب « المناظرة الكبرى بين الشيخ رحمة الله الهنـدى والدكتور القسيس فندر » أنه كانت هناك فى القرون الأولى من تاريخ النصرانية فرقة تسمى « كولى رى دينسى » تقول إن الآلهة ثلاثة : الأب والابن ومريم ، وأن هذا القول ربما كان مكتوباً فى إنجيلهم (١٩) . ويبدو أنها هى الفرقة التى ذكرها محمد حميد الله كما سنرى بعد أسطر قليلة .

ويقول عبد الله يوسف على العلامة الهنـدى وصاحب الترجمة الإنجليزية الشهيرة للقرآن الكريم إن عبادة مريم ، التى ألفاها البروتستانت ، كانت واسعة الانتشار بين النصارى الأوائل فى المشرق والمغرب (٢٠) . كذلك ذكر محمد حميد الله ، فى ترجمته الفرنسية للقرآن الكريم تعليقاً على آية سورة « المائدة » التى يدور الكلام

في هذه الصلصات حولها ، أن الإشارة في الآية خاصة بظانصة  
الـ «Corydæus» وغيرهم من يصعدون صريم في مرتبة أعلى من مرتبة  
الشريم (٢١)

والخلاصة أن القرآن حينما ذكر أن هناك من يعبدون صريم إسا  
بخر حنيفة تاريخية لا سبيل إلى الشك أو المراء فيها . أما الذين  
يعترضون على ذلك وبكذونه ، بصريح القول أو اللحن فيه ، فإن  
اعراضهم هذا لا يعنى من الحق شيئا وسواء بعد ذلك أكان  
التصاري هم الذين يعبدونها أم أن فرقة صالدة لا تعد منهم ، كما  
بدعى البعض ، هي التي كانت تقول هذا (٢٢) ذلك أن القرآن لم  
بتعرض لهذه النقطة الفرعية ، إذ كل ما قاله هو أن من الناس من  
كان يتحد عبسى وصريم الهين من دون الله ، مكتفيا بالإشارة إلى  
فرينهم التي يردونها دون أن يهتم بتصنيفهم .

## الهوامش

١- المائدة / ١١٦

٢- رسائل العاخط / ٣ / ٣٠٣ - ٣٠٤

3- E. J. Brill's First Encyclopaedia of Islam, Vol. V, p. 311.

٤- الأنبياء شجرة / مقال « القرآن والمسيحية » / مجله « الهلال » المصرية /

ديسمبر ١٩٧٠ م / ٢٦

٥- الموسوعة العربية الميسرة / ١٦٨٩

٦- انظر اس نبيذ / الحواب الصحيح لى بدل دين المسيح / ١ / ١٧١ - ١٧٢

٧ / ٣ / ٢٢ . ود على عبد الرحمن وافى / لأشعار المقدسة فى الأدب ان السابفة

للإسلام / ١٠٧

7 - Dictionary of the Bible, ed. by Wilham Smith, London, 1863

8 - E. J. Brill's First Encyclopaedia of Islam, Vol. V, p. 311.

9 - Encyclopaedia of Religion and Ethics, ed. by James Hastings, Vol. 8, pp. 474 - 480.

10 - Encyclopaedia Britannica - Macropaedia, 15th ed., Vol. 11, pp. 560 - 562.

11 - Collier's Encyclopaedia, Vol. 15, p. 470.

١٢- ول ديورانت / قصة الحضارة / ترجمة محمد يدران / ١١ / ٢٧٥ - ٢٧٦

١٣- الفصح زكريا إبراهيم / الله واحد في التالوت المقدس / ١١

١٤- انظر د رعوو شلبي / يا أهل الكتاب نعالوا إلى كلمة سواء / ٢١٢

١٥- « تفسير القرآن » لعبد الرزاق بن همام الصنعائى / تحقيق د مصطفى

مسلم / ٢ / ٨ . وتفسير اس كثير / ٣ / ١٢٢

١٦- أبو محمد عبد الله الترحمان المهورفى / نعمة الأريب هي الرد على أهل

السليبي / دراسة وتحقيق وتعديل عمر وميز الداعوى / ١٣٩ - ١٤٩

١٧- انظر « الفصل في الملل والأهواء والنحل » / تحقيق د. محمد إبراهيم

نصر ود / عند الرحمن عمرة / ١ / ١١٠ ، و ٢ / ٢٠٥

١٨- الضماني / الأحيوية الناجمة عن الأسئلة الناجمة / تحقيق د. بكر زكي

عوض / ٣٥٦ - ٣٥٧ / انظر ابن تيمية / الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح / ٣ /

١٩٢ ، وكذلك ابن قيم الجوزية / هداية الحارثي في أصولية اليهود والنصارى / تحقيق

مصطفى أبو النصر الشلبي / ٢٦١ - ٢٦٢ -

١٩- انظر « المناظرة الكبرى بين الشيخ وحجة الله الهندي والدكتور الفسبي

هندر » / تحقيق د. محمد عبد النادر خليل / ٢٧١ - ٢٧٢ .

20 - Abdullah Yusuf Ali , The Holy Quran , 280 , n. 829 .

21 - Muhammed Hamidullah , Le Saint Coran , p. 161 .

٢٢- مثلما رأينا وأبنا عند التمسك زكريا إبراهيم ومن الذين ادعوا هذا أيضا

إسكندر حمد المرشد الروحاني لمركز الشبيبة في لبنان ( انظر إبراهيم سليمان الجيهان /

معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي الشنبر / ١٤١ - ١٤٢ )

### ٣- عزير

ويزعم النصارى أن من الأدلة على بطلان القرآن الكريم ادعاءه على اليهود القول بأن عزيرًا ابن الله ، مع أن اليهود لو كانوا قالوا ذلك ما جحدوه من دينهم ولا أنكروا قولهم إياه (١) .

والذى ورد فى القرآن عن هذا الموضوع هو قوله حل شأنه : « وقالت اليهود : عزير ابن الله ، وقالت النصارى : المسيح ابن الله . ذلك قولهم بأفواههم بضاحنون قول الذين كفروا من قبل . قائلهم الله ! أتى بؤفكون ؟ » (٢) . وسبب نزول هذه الآية فيما يختص باليهود أن بعض زعمائهم قد أتوا النبى صلى الله عليه وسلم يحاخونه ويذكرون السبب الذى يمنعهم من قول ما يعرضه عليهم من الدخول فى الإسلام ، قائلين : « كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا نزع من أن عزير ابن الله ؟ » (٣) .

ومن هذا يتبين أن الذين قالوا بذلك كانوا من يهود المدينة وأن القرآن قد سجل ذلك عليهم وقد سمع أولئك اليهود بما نعاه عليهم القرآن وخرسوا ولو أنهم ! يقولوا هذا لا عترضوا على النسي عليه السلام ولشعوا عليه وعلى القرآن الكريم ، إذ إن هذه فرصة ثمينة بل سيف بنار قاتل ما كانوا ليهملوه . بل بالحرى كانوا يمتشقونه ليطعنوا

به الدبر العذب طعنة نجلا . نكمل لهم الانتصار عليه في الحرب  
 النفسية المناهضة التي كانوا يشنونها على محمد صلى الله عليه وسلم .  
 فالزعم إذن بأن اليهود قد أنكروا ذلك هو زعم باطل ، فهم لم ينكروه .  
 ولو كانوا قد أنكروه لتحديث عنه القرآن أو لرويه على الأقل الأحاديث  
 وكتب التاريخ ، كما حدث مع عدي بن حاتم ، الذي أقمد دهنه فقول  
 القرآن ، عتب الآية السابقة مباشرة ، عن أهل الكتاب إنهم « اتخذوا  
 أحبارهم وروحانهم أربابا من دون الله » ، وقال للنبي صلى الله عليه  
 وسلم إنهم لم يكونوا يعبدونهم ، فبئس التثني عليه السلام أنهم قد  
 حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوه ، وهذه هي عبادتهم  
 إليهم (٤) . ومعروف أن موسى قد نسخ شريعة النوراة (٥) ، وأن  
 كنيسة الأنجليك قد ادعوا أن المسيح قد جعل ما بهله رسله على الأرض  
 محلولا في السماء ، وما يرطبه على الأرض مربوطا في السماء (٦) .  
 كما أن الباباوات كان يبيعون لرعاياهم صكوك الغفران ، والغفران هو  
 من أحصى حصائص الله سبحانه . وما زال النصراني حتى الآن ينجس  
 إلى المساومة ليعترفوا لهم بما أحرموه من ماثم فيغفروا لهم وما  
 أكثر النسوة والفتيات اللاتي يقصدن النفس في الكنيسة على انفراد  
 فيحلنهن في حوفا الصامت المظلم ويسمع منهن تفصيلات الفواحش



التي بفترتها دون حياة ، من الطرفين ! ودعنا مما يمكن أن يحدث في مثل هذه الظروف المشيرة الحريصة كما أن النصارى يسعدون لتماثيل فديسيهم ويصومون لهم . أما اليهود فقد أجمع أحبارهم مثلاً على أن من يشتم الله أو الأنبياء ، يؤدب ، أما من يشتم الأحبار فيقتل (٧) . وفى التلمود أن خلافاً علمياً رفع بين الله وأحبار اليهود حكم فيه أحد العاخامات لصالح الأحبار ، واعترف الله بخطئه (٨) ، وأنه سبحانه يستشير العاخامات عندما نقابله مشكلة (٩) ، وأن مخافة العاخامات هى بمثابة مخافة الرب نفسه (١٠) ، علاوة على تبديل التلمود كثيراً من شرائع التوراة ... إلخ .

وقد ذكر الجاحظ أن فريقاً من بقايا القائلين ببسوة عزير لله سبحانه كانوا لا يزالون فى عصره باليمن والشام وداخل بلاد الروم (١١) . وقد ورد عند ابن حزم أن الذين كانوا يقولون ذلك هم طائفة الصدوقيين باليمن (١٢) . وكانت بينه ، رحمه الله ، وبين مواطنه ابن النفيسة اليهودى مجادلات من هذا النوع ، فلم لم يكذبه فيما قاله من أن طائفة من بنى دينه ندين ببسوة عزير لله ؟ وقد رأينا قبل قليل كيف أن النصارى الذين يعملون على تخطئة القرآن ، ومنهم فاسوسة ومبشرون متبحرون فى دينهم ، صاوالوا يدعون أنه لا يوجد

نصراني واحد يعبد مريم ، وذلك رغم ثبوت صحة ما قاله القرآن الكريم في هذا الصدد. وقد أسلم عدد من يهود المدينة على يد النبي عليه السلام ولم يحدث أن أحداً منهم قد استغرب هذه الآية أو استوضحها النبي مجرد استبضاح .

وقد جاء في الروايات أن ابن عباس باحث يوماً عنده الله بن سلام ( وهو يهودي أسلم عقب هجرة النبي عليه السلام إلى المدينة ) في قول الله تعالى : « وفالت اليهود : عزيرُ ابنُ الله » وسأله : لم قالوا ذلك ؟ فذكر ابن سلام ما كان من كتابة عزير التوراة لبني إسرائيل من حفظه وقول بني إسرائيل حينذاك : لم يستطع موسى أن يأتيها بالتوراة إلا في كتاب ، أما عزير فقد جاءنا بها من غير كتاب ، فقلتُ فيه طوائف منهم وقالوا إنه ابن الله ( ١٣ ) .

وقد أقرّ الفستيس الذي ناظره فخر الدين الرازي في أمر الإسلام والنصرانية بأن بعض اليهود قد نال ذلك فعلاً . وكل ما عَقَّب به هو أنه « لا يلزم من قول واحد في وقتٍ ما قول الجميع في جميع الأوقات » ( ١٤ ) . وقد وضع الرازي له أن قوله تعالى : « وفالت اليهود : عزيرُ ابنُ الله » لا يقتضي فعلاً أن يكون إخباراً عن الكل ولا في كل وقت ( ١٥ ) . وقد اتفق المفسرون على أن إسناد هذا القول

إلّهم يراد به بعضهم لا كلّهم . وذكر رشيد رضا أن القاعدة في الاتّوال والأفعال المسندة في القرآن إلى حملته رغم أنها صادرة عن بعضهم فقط هي الإشارة إلى أن الامة تُعدّ متكافلة في تؤولها العامة ، وأنّ ما يفعله بعض الفرق والجماعات أو الزعماء يكون له تأثير في حملتها ، وأنّ المسكر الذي يفعله بعضهم بذّاحذ الجمهور به ما داموا لم ينكروا عليه أو يحاولوا إزالته ، وذلك مثلما يصيب الوباء مجموع الناس ولا يقتصر على مرضاه الأصليين (١٦) . على أنه يمكن أن تكون الالف واللام الداخلة على لفظة « اليهود » في الآية السابقة هي « ال » العهدية لا الجنسية ، ويكون اليهود فيها من ثم بهودا معيّنين ، ولجس كل اليهود ، أو يكون الكلام على التوسع كما يحدث كثيرا في مثل هذه الحالة .

وفي « تفسير عثمانى » ( مألعة الأوردية ) للعلامة شبير أحمد عثمانى أن عالما هنديا اسمه الحاج أمير شاه خان لفي في فلسطين ، أثناء زيارته لها ( قبل بضع عشرات من السنين ) ، بعض اليهود ممن يهتمون إلى فرقة اسمها « العزّريّتون » لا تزال تعتقد أن عزيرا ابن الله (١٧) . وقد رأينا قبل قليل ما ذكره ابن حزم من أنّ الذين كانوا يقولون ذلك كانوا يعيشون في اليمن وهذا وذاك

يؤكدان ما جاء عند العاظم من أن بقاياهم كانوا باليمن والشام وبلاد  
الروم .

وقد ذكر د. عبد المنعم الحفني في « الموسوعة النقدية للفلسفة  
اليهودية » جماعة اليهود الذين يزعمون أن عزيزاً هو ابن الله ، وهم  
طائفة الصدوقيين (١٨) .

ولعلَّ بعض الناس يستعربون أن يكون من اليهود من ينسب لله  
أبناء ، إذ المشهور أن الذين يقولون بذلك إنما هم النصارى ، أما  
اليهودية فديانة توحيد ولكن الحقيقة ليست كذلك ، لأنه إذا كان  
النصارى قد ادعوا أن المسيح ابن الله فإن اليهود قد ادعوا هذه النبوة  
لأكثر من شخص - وما عزَّز إلا واحد من هؤلاء . وقد ذكره القرآن  
بالاسم لأن بعض يهود المدينة قد عَيَّنوه في جدالهم مع النبي صلى الله  
عليه وسلم نعيينا .

ومن ذلك ما جاء في العهد القديم من « أن أبناء الله رأوا  
بنات الناس أنهن حسنات فانخذوا لأنفسهم نساءً من كل ما اختاروا ...  
وبعد ذلك ... دخل بنو الله على بنات الناس وولدت لهم  
أولاداً » (١٩) . كما نسب مؤلفو هذا الكتاب إليه سبحانه زورا قوله  
لسن إسرائيل : « أتم أولاد للرب إلهكم » (٢٠) ، وكذلك قوله عن

إسرائيل إنه « ابنه البكر » (٢١) . وفى سفر « أيوب » نقرأ أنه قد « جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب » (٢٢) ، و « ترنمت كواكب الصبح معا وحُتف جميع نوى الله » (٢٣) . ويقول كاتب المزامير ( ٢ / ٧ ) : « إن الله قال لداود : « أنت ابنى ، أنا اليوم ولدُك » . وتجعل الآية ٢٦ من المزمور التاسع والثلاثين لله تسلاً . وتكلم الآية ٧ من المزمور التاسع والثمانين عن « أبناء الله » . وفى المزمور التاسع والثمانين يقول الله عن داود عليه السلام فيما يزعمون : « هو يدعوى أبى أنت ... أنا أيضا أجعله بكراً أعلى من ملوك الأرض » (٢٤) . وفى « إشعياء » يضعون على لسان الله الكلام التالى : « لأنه يُولد لنا ولد ونُعْطى ابناً وتكون الرئاسة على كتفه ويُدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام » (٢٥) . ويستهل إشعياء لله قائلاً : « أين غيرتك وجبروتك . زفير أحشائك ومراحمك نحوى امتنعت . فإنك أنت أبونا وإن لم يعرفنا إبراهيم وإن لم يدونا إسرائيل . أنت يا رب أبونا ولينا منذ الأبد اسمك » (٢٦) . وفى سفر « إرميا » يقول كاتبه مسنداً الكلام إلى الله تعالى : « صرْتُ لإسرائيل أباً ، وأقرباً هو بكبرى » (٢٧) . وفى « هوشع » يوصف بنو إسرائيل بأنهم :

« أبناء الله الحي » (٢٨) . وفي التلمود أن أرواح اليهود تتميز عن  
 سائر أرواح البشر بأنها حرة ، من الله مثلما أن الابن جزء من  
 أبيه (٢٩) . وعبر ذلك كثير . وقد سجل القرآن زعمهم ( هم  
 والنصارى ) أنهم « أبناء الله وأحباؤه » (٣٠) .

ولما جكتف اليهود بأن جعلوا لله أبناء ، بل جعلوا له سبحانه  
 أيضا زوجة ، إذ جاء في المزمور الخامس والأربعين حسب الترجمة التي  
 كانت تحت يد ابن حزم ، رحمه الله ، قول صاحب المزامير مخاطب الله  
 تعالى : « وفقت زوجتك عن يسارك وعقاصها من ذمبي . أيتها الابنة  
 اسمعي وصلي بأذنيك وأصري وانسي عشيرتك وبيت أبيك فيهبواك الملك  
 وهو الرب والله ، فاسحدي له طوعا » (٣١) وقد غير مترجمو  
 البرونستانت في العصر الحديث ذلك فحذفوا كلمة « زوجتك » ووضعوا  
 مكانها لفظة « الملكة » ، كما استبدلوا بعبارة « وهو الرب والإله »  
 قولهم : « لأنه هو سيدك » (٣٢) . ومع ذلك فمازلنا نقرأ في العهد  
 القديم مثل هذا الكلام .

من ذلك ما نسب إليه تعالى في « إرميا » (٣ / ١ - ١٠)  
 مخاطب الأمة اليهودية : « إذا طلق رجل امرأته فانطلقت من عنده  
 وصارت لرجل آخر هل يرجع إليها بعد . ألا تنتجس تلك الأرضُ

بحاسة .. اما انت فقد رهبت بأصحاب كثيرين لكن ارجعي الى ،  
 يقول الرب .. أليس من الآن ندعيسى يا أسي ألبس صاي انت  
 وقال الرب .. هل رايت ما فعلت العاصية اسرائيل انطلقت الى كل  
 جبل عال وإلى كل شجرة حصراء وورنت هناك فقلت عندما فعلت كل  
 هذا ارجعي الى . فلم ترجع هرايت أنه لاجل كل الاسباب إذا زنت  
 العاصية إسرائيل فطلقتها براعطينها كتاب طلافها لم تحب الحاسة بيهودا  
 احتها بل مضت وزنت هي أيضا وكان من هوام زناها أنها حسنت  
 الأرض وزنت مع البحر ومع الشجر . وفي كل هذا أيضا لم ترجع لي  
 أختها الحاشة بيهودا بكل قلبها بل بالكذب . يقول الرب .

ومثله ما رعم . في سفر « حزقيال » ( ١٦ . ٧ - ٣٧ ) .  
 أنه تعالى قد قاله أيضا لامة اليهود : « جعلتك ربوة كنبات الحقل  
 فربوت وكسرت وبلغت زينة الأزيان بهد ثدياك ونبت تغزلك وقد كنت  
 عريانة وعارية . صمرت بك ورأيتك وإذا زمنك زمن الحب . فسقطت  
 ذبلي عليك وسرت عورتك وحلفت لك ودخلت معك في عهد . يقول  
 السيد الرب . فصرت لي ، فحمتك بالماء ... ومسحتك بالزيت  
 والبستك مطرزة وعلقتك بالنحاس وأزرك بالكتان وكسوك بزاً وحللتك  
 موضعت أسورة في يدك وطوقاً في عنقك ووضعت خزامة في أنفك

واضباطا في أذنك وناح حمار على رأسك فتحللت بالذهب والنضة  
ولسانك الكنان والبز والمطرز . وأكلت السميد والعسل والبريت وجعلت  
حدا حدا فصلحت لمملكة ... فأتكلت على حمالك وزينيت على اسمك  
وسكت رماك على كل عمار فكان له . وأحدث من شامك وصنعت  
لنفسك مرتفعات موشاة (٢٢) وزينيت عليها أمر لم يأت ولم يكن .  
وأخذت أمنعة زينتك من ذهبي ومن فضتي التي أعطيتك وصنعت  
لنفسك صور ذكور وزينيت بها ... في رأس كل طريق ملئت مرتفعتك  
ورحمت حمالك ومرتحت رحلك لكل عمار واكثرن زناك ... أبناها الروحة  
القاسقة نأخذ أحشيين مكان زوجها . لكل الزواني يعطون هدية . أما  
أنت فقد أعطيت كل محبيك حداهاك وزينيتهم لبأنوك من كل جانب  
للزنا بك . «

وفي « موشع » ( ٢ - ٢ - ١٦ ) ينسب الكاتب إلى الله  
سحابة الكلام التالي : « حاكموا أمكم حاكموها لأنها ليست امرأتى  
وإما ليست رحلها لكم تغزل زناها عن وجهها وفستها من بين ثدييها  
لئلا أجزدها عريانه وأوقفها كيوم ولادتها .. ولا أرحم أولادها لأنهم  
أولاد زنى لأن أمهم قد زنت .. لأنها قالت أذهب وراء سحني الذين  
يعطون حنزي وماسي صونى وكثانى وأسرنى فتقول أذهب وأرجع إلى



رجلى الأزل لأنه حينئذ كان خير (٣٤) لى مس الآن . وهى لم تعرف أنى أعطيتها القمح والمسطار والزيت وكثرت لها فضة وذها جعلوه لبغل . لذلك أرحم وأخذ فصحى من حينه ومسطارى من رقتة وأنزع صرمى وكثانى اللذين لستر عورتها . والآن اكشف عورتها ولا ينقذها أحد من بدى ... وأحرز كرمها وتينها اللذين قالت هما آخرى التى أعطانيها منجى .. وأعافبها على أيام بغليم التى فيها كانت تُسخر وتتزيى بخوانمها وحليها وتذهب وراء محبيها وتنسأى أنا ، بقول الرب . لكن هانذا أنملقها وأذهب بها إلى البرية والاطعها . وأعطيها كروما من هناك ... سيكون من ذلك اليوم ، يقول الرب ، أنك ندعبنى رجلي ولا تدعبنى بعد على »

ان الاسرار ، حينما يقرأ هذا الكلام ، لا يتمالك نفسه من الرث . مثل هذا الزوج الواله المسكين الذى مرعت زوجته الزانية العنون شرفه فى الرعام ، ولكنه لا يستطيع عنها سلوا رعه كل سواه القبيح لها وتهديداته إياها بالهجر والفصححة !

وفد حدد آرثر هوتزمرج ( فى كتابه « Judaism » ) الزمان والمكان اللذين تم فيهما عقد الزواج بين الله وإسرائيل حسب افتراءات اليهود فقال ان ذلك كان فى سيناء . حيث نحل الله لموسى وصيه

إسرائيل . وأضاف أن السماوات والأرض كانت شهود ذلك العقد (٣٥) ويقول ول ديورانت إن « نشيد الإنسان » المنسوب لسليمان ( وهو نشيد يفوق قصائد الشعراء الداعرين هي عزيه وإشارته للشهوات وامرانه بالفجور ) هو في اعتقاد اليهود تريضة صوحاة من السماء لتصور تصويرا صجازيا اقتران يهود بإسرائيل عروسه المختارة (٣٦) .

هذا عن شوة عزير لله التي ادعاه له فرين من اليهود وحكاها عنهم القرآن الكريم لكن من عزير هذا ؟ التامع بين المفسرين والمؤرخين المسلمين (٣٧) أنه عزرا ، التي يقول بعضهم إنه كان سبا ، وبعضهم انه مجرد كاهن أو كاتب . وأعلنه بسببوا اله انه هو الذي أعاد كتابة الشراة بعد تلفنها . وبعضهم ، كاليغوي ، يقول انه حفر عنها في نثر كانت مطبوعة فيه واستخرجها وسحها من جديد مع كتب الأنبياء الأخرى .

ويقول سينوزا ( في كتابه « رسالة في اللاهوت والسياسة » ) إن عزرا إنما جمع الررايات المختلفة من الكتب أو الماشورات التعبية المتداولة على الألسن ونسخها دون تحقيق أو ترتيب ومن هنا جاءت النصوص في معظم كتب العهد القديم مفروصة ومنعازضة ، لأن

مصادرها متعددة ولأن الكتاب الذين كانوا يعملون في جمعها تحت إشرافه لم يطلع أى منهم على ما كتبه الآخرون (٣٨) . وبؤكد د. هزاد حسنين على أن العهد القديم لم يجمع كله على يد عزرا بدليل وجود أسفار فيه متأخرة عن زمنه كسفر دانيال (٣٩) .

أما السؤال بن يعيسى المغربي ( وهو حبر يهودى أندلسى كان يعيش في القرن السادس الهجرى ودخل في الإسلام ) فإنه يحمل على عزرا حملة شديدة ويتهمه أنه هو عزير الذى ورد ذكره في القرآن الكريم . قال : « كان عزرا هذا حادما لملك الفرس حظيا لديه فتوصل إلى بناء بيت المقدس وعمل لهم هذه التوراة التي بأيديهم . فلما كان هاروننا كره أن ينولى عليهم في الدولة الثابتة داودى فأضاف في التوراة فصلين طاعنين في سب داود : أحدهما قصة بنات لوط ، والآخر قصة ثامار (٤٠) . ولقد بلغ ، لعزرى ، غرضه ، فإن الدولة الثانية التي كانت لهم في بيت المقدس لم يملك عليها فيها داوديون ، بل كانت ملوكهم هارونيين وعزرا هذا لبي هو الغريب كما يُظن ، لأن الغريب هو تعريب العازار . فأما عزرا فإنه إذا عُرف لم يتعبر عن حاله لأنه أنه خفي الحركات والحروف ، ولأن عزرا عندهم ليس بنبي ، وإنما يسمونه « عزرا هوير » ، وتفسيره « الناسخ » (٤١) .

لكى أرجح أنه لو كان « العازار » هو « عزيرًا »  
 لسماء القرآن الكريم « العزير » ( بالالف واللام ) ، كما فعل مع  
 « السح » ( الذى أصله « أليشع » ) . وقد فعل السموأل نفسه .  
 رحمه الله ، ذلك ، فإنه لم يكتفه إلا بالالف واللام ، وفضلًا عن ذلك ،  
 فإن جميع علماء المسلمين الفداسى ثربيا قد قالوا إنه عزرا . وعندنا  
 رواية أوردها ابن عساکر عن عبد الله بن سلام أنه هو عزرا ناسح  
 النوراة ، على ما جاء فى « البداية والنهاية » لابن كثير كما مر  
 بيانه ثم إن كون عزرا سيا أو غبر بى لا يقدم فى المسألة ولا  
 بوخر ( ٤٢ ) . وأخيرا فإنه إذا كان عزير هو « العازار » ، فأتى العازار  
 ذلك ؟ ولماذا ساء اليهود لله سبحانه ؟ إن السموأل للألف لم يحم عن  
 هذين السؤالين المهمين برغم تبحره فى العربية والعبرية والقرآن الكريم  
 وكتب اليهود والنصارى . وقد رجح زوى أبو سعده أن يكون يهود  
 المدينة الذين قالوا سنوء عزير لله قد حوروا نطق اسم من « عزرا »  
 ( وحى صيغة المصدر من مادة « ع ز ر » بمعنى اسم الفاعل )  
 إلى « عزير » ( بالإسالة ، وحى صيغة اسم الفاعل من تلك المادة ) ،  
 ثم جاء القرآن وعربها بصيغة النصبير العربية ، التى هى أقرب شئ  
 إلى صيغه اسم الفاعل العبرية ( ٤٣ )

أما الدكتور أحمد شلبي فانه لا يقطع بأن عزرا هذا هو عزير  
الوارد في القرآن ، وإنما يكتفى بأن يقول : « بُسِّب سفر عزرا  
إلى عزرا الكاهن ، ويبدو أنه عزير الذي ورد ذكره في القرآن  
الكريم » ( ٤٤ ) .

وفي ترجمته الفرنسية للقرآن الكريم يقول د. صلاح الدين كنزويد  
عن عزير هذا إنه هو عزريا ، أحد الأنبياء العبرانيين الصغار الاثنى  
عشر ( في القرن الثامن قبل الميلاد ) ( ٤٥ ) . بيد أن من الصعب  
هذا الافتتاح بأن « عزير » هو نعري « عزريا » .  
فأما من إذن في عزرا ثلاثة أراء على الأقل : أنه هو عزير ،  
وأنه لبس إياه ، وأنه يبدو أنه هو .

## الهوامش

- ١- رسائل الحافظ / ٢٠٣ - ٢٠٤
- ٢- البويه ٣٠
- ٣- انظر مثلاً طبرى والرازي وابن كثير في أسباب نزول هذه الآيات
- ٤- روى ذلك الترمذى وابن السكيت وابن أبي عمير وابن أبي عمير وغيرهم
- ٥- مذكوراً في كثير من كتب التفسير وكتب أسباب النزول عند تناول هذه الآية
- ٥- وذلك كما نشه « رسائل بولس » في العهد الجديد ، في مواضع متعددة منها .
- ٦- انظر متى ١٦ / ١٩ - ٢٠ ، و ١٨ / ١٨ ، ويوحنا ٢٠ / ٢٣
- ٧- ابن حزم - الفصل في الملل والأهواء والنحل ٩ / ٣٢٥
- ٨- إمام حبش حمد / إسرائيل والظمود / ٦٥
- ٩- انظر د. صدر متعمد / الأسفار المقدسة قبل الإسلام / ١٦٤
- ١٠- سبق ٢٩
- ١١- طبر / رسائل الحافظ « ٢ / ٢٤٦
- ١٢- انظر ابن حزم / الفصل في الملل والأهواء والنحل ١٠ / ١٧٨ وانظر كذلك كتابه « سرد على من التعريفة » في « رسائل ابن حزم الأندلسي » تحقيق د. إحسان عباس ٢ / ٦٧
- ١٣- انظر من كثير / البديعة والتهذيب / ٢ / ٤٦
- ١٤- فخر ردي الزاوي / مناقرة في سرد على القدرى تحقيق د. عبد المجيد البحار / ٣٩ - ٤٠
- ١٥- سبق ٤٧

٢٦- انظر محمد رشيد رضا / تفسير المنار / ١٠ / ٢٨٢ .

٢٧- العلامة شبير أحمد عثمانى / تفسير عثمانى ( بالأوردية ) / ٢٥٢ -

٢٥٤ وقد نرجم في النص من الأوردية إلى الإنجليزية مشكوراً صديقى د . عادل عثمانى

رئيس تحرير مجلة « Pakistan Library Bulletin » ، والذي يعمل منذ سنوات مديراً

لكلية كلية الترميز ( فرع جامعة أم القرى ) بالطائف

٢٨- الموسوعة المذكورة / مادة « الصدوقية »

٢٩- تكوين / ٦ ٢ ويذكر سفر « التثنية » ( ٢٢ / ١٩ ) أنه ينبغي وبنات

أيضا /

٣٠- تثنية / ١٢ ١

٣١- خروج / ٤ ٢٢ - ٢٢ وفى سفر « التثنية » ( ٢٢ / ٧ ) مرثى ،

إشارة إلى هذه السورة .

٣٢- أنوب / ١ ٦

٣٣- أنوب ، ٣٨ ٧

٣٤- مزامير / ٨٩ ٢٦ - ٢٧ وقد رأيت هنا أن اسم الكثر ، تعالى الله عن

ذلك ، هو إسرائيل . وسرى بعد قليل أنه أفرام . وهو شافص معجك

٣٥- إشعيا / ٩ ٦ وواضح مدى الشافص سر نسبة الملوك « اما »

وتسميته بعد قليل « أنا نبي »

٣٦- إشعيا / ٦٣ ١٥ - ١٦

٣٧- إرميا / ٣١ ١ وقد مر في سفر « الخروج » قول الله . على

رعيهم . إن إسرائيل ( لا نبيه ) هو اسم الكثر كما رأينا في المزمور ٨٩ أنه هو

داود . وهو من شافصات شعب قديس التي لا تكاد نحصى

٢٨- هوشع / ١ / ١٠ -

٢٩- د أحمد شلبي / اليهودية / ٢٧١ - ٢٧٢ ، وإبراهيم خليل أحمد / إسرائيل والتلمود / ٦٧ .

٣٠- المائدة / ١٨ ، ويخاطب الصاربي الله في سلوكهم قائلين . « أمانا الذي في السموات ، ، ، كما نكرر في الأناجيل وضعه سبحانه بأنه أبوه .

٣١- التعميل في الملل والأهواء والحل / ١ / ٣٠٧ - ٣٠٨

٣٢- نظير المرحوم ٤٥ / ٩ - ١١

٣٣- في الأصل : « موشاة » بالكسر . وهو خطأ . دكم في لغة الكنائس المقدس من أخطأ ، وركاكات ١

٣٤- نقطة « حير » هذه من الركاكات التي لا حصر لها في العهد القديم وهي موقوفة خطأ ذلك أنها إن كانت « أفعل تتعجب » كي تشيل محي « من » وراءها ، صحيح . تتعجب حتى تكبر هففة أما إذا رفعت كما هي في النص فحشدة تكبر اسم لا سعة . ولا يصح حشدة ان تتعجب به مفادته . ومن ثم لا تأخذ حرف الحر « من »

٣٥- طر « اليهودية » للدكتور أحمد شلبي / ٢١٣

٣٦- رؤى ديورانت / ترجمة محمد بدوان / ٩٤ / ١٦ ، ونظر كذلك د أحمد سوسة / متصل حرب واليهود في التاريخ / ٥٧٥ / د ٤٤

٣٧- مثل تشرني والحافظ وابن حزم والقرطبي والعصامي ومن كتبه ومن القس والعراقي وأحمد بن إدريس الله الهندي والأندلسي ومحمد رشيد رجب ومحمد الطاهر بن عاشور شيخ

٣٨- طر د حابر طعنة / الأسفار المقدسة قبل الإسلام / ٧٤ - ٧٥



٢٩- انظر د. هزاد حسنين علي / النوراة / ١٥ - ١٦

٤٠- تقول القصة الأولى إن بني لوط كانوا تمشيان مع والديهما في مكان مسطح  
في الناحية الشمالية لاجتماع وبعثت لطفًا لهما صخرة حتى سكرتا ونامتا معه التواحدة  
بعد الأخرى في ليلتين متتاليتين أما الثانية: فتطحن في آل يهوذا من يعقوب وقد  
رأى بأرملة إسمه وبنوط ويهوذا من أجداد داود ( انظر ١٩ / ٣٠ - ٣٨ ، ٢٨ /  
١٢ - ١٩ )

٤١- السموأل من بني نعري / إصحاخ اليهود / نحشوق د. محمد عبد الله  
الشرقاوي / ١٥١ - ١٥٣ .

٤٢- في السفر المسمى -سنة في العهد انشدب لا يُذكر عزرا أبداً على أنه  
في إنما هو كاهن وكانت

٤٣- انظر روبرت أبو سعد . من إعجاز القرآن - العلم الأعجمي في القرآن  
مصرنا بالقرآن / ٢ / ٢٠٦ - ٢٩٠ .

٤٤- د. أحمد شلبي / يهودية / ٢٤٢ .

45- Dr. Salah Ed-dine Kechrid . Al-Qur'an al-Karim . p 245 , n 1.

## ٤- هامان

وبالنسبة لهامان يروى الحافظ أنهم بعدون ما قاله القرآن عنه غلطاً في الاحبار ودلبلا على أن المسلمين يأخذون العلم عن غير الثقات ، إذ « هامان » الذي جاء ذكره في القرآن كان معاصراً لفرعون ، على حبس أن هامان في العهد القديم كان يعيش في زمن الفرس ( في عهد الملك أختويرش ) بعد فرعون بدهر طويل . وذلك ، كما يقولون ، « معروف عند أصحاب الكتب ، مشهور عند أهل العلم » .

وقد جاء في القرآن أيضا أن فرعون إنما أراد أن يبني صرحا ليصعد منه ويرى الله . وهو يقولون إن فرعون إن كان كافرا بالله فما معنى انخاذه صرحا ليرى شيئا لا يؤمن بوجوده ؟ وإن كان مقرا بوجوده سبحانه فاما أن يكون من المشبهة ، فكيف فاته أن من المستحيل بناء صرح ينفذ من السماوات السبع حتى يصل إلى العرش الإلهي ؟ راما أن يكون من بقاء النشيه ، فكيف يخطر على باله البحث عنه سبحانه في مكان تعبته ؟ وعلى أية حال فلم يكن فرعون مجسونا أو ناقص العقل حتي يفكر في هذا الأمر أصلا ( ١ ) .

ويرى الفارسي . ان أصل التهمة يقوم على أن الرسول عليه السلام

هو الذي آلف القرآن ، وأنه قد استفاد من الأخبار الملقطة والروايات المصطرفة التي لا يعرفها التاريخ . ونحن نقول إنه إذا انتفت نبوة محمد عليه الصلاة والسلام فلي تكون هناك نبوة أخرى حديرة بالتصديق ، فإن أحلافه وصدقته وأساتته ( برغم كل ما يرمسه به الكافرون بدينه ) هي أفضل وأزكى وأقوم مما يصف أنه كائنات القوم المقدس أنبياءهم ، فقد سب إليهم هذا الكتاب الزنا والفجور وشرب الخمر والكذب والقتل وعبادة الأصنام والديانة ومضاحعة المحاربه ... إلخ . وبسنجبل أن يدعوا شيئا من هذا عليه صلى الله عليه وسلم مجرد ادعاء .

وقد أشارت إلى هذا الاحتمال بس هامان في العهد القديم ويس هامان في القرآن الكريم « دائرة المعارف الإسلامية » فقالت في طبعها الأولى تحت عنوان « هامان » : « أن وضع محمد لهامان في هذه الفترة ( أي في عهد فرعون ) بقصص اضطراب صفرته للتاريخ ، ذلك الاضطراب الذي يوحده في القرآن أمثلة كثيرة عليه . وفي الحقيقة فإن التلمود ( Sanh 106 ) والمدراس ( Buxteh R. 18 ) يحتوران على خطأ تاريخي مشابه ، إذ يجعلان بلعام وأبوب ويشرون جميعاً أعضاء في مجلس توري فرعون ، الذي كان من رأيه التخلص من موسى . وهناك نص آخر في المدراس ( Num. R. 22 ) يصف هامان

وقارون بأنهما أغنى رجلين في الدنيا » (٢) . أما في الطبعة الجديدة التي ما زالت تصدر حتى الآن فقد حقت حدة الهجوم على القرآن واختصرت المادة إلى حد كبير (٣) . ولعل ذلك ندابة التراجع عن انتقادهم للرسول الكريم عليه السلام والكتاب الذي أنزل عليه في هذه النقطة .

كذلك أشار إلى هذا الاحتلال القس توماس باتريك هيوز في كتابه « Dictionary of Islam » ، إذ قال : « يظن بعض النقاد الأوروبيين أن محمدا قد جعل من هامان ، الذي كان وزيرا مقربا إلى الملك آشوريرش وعدوا لليهود ، وزيرا لفرعون . ويقول الأحيار إن هذا الوزير هو قارون أو بشرى أو بلعام » (٤) .

وما زال القوم يظنون أنهم يستطيعون التمسك بذلك على المسلمين وكتابهم . فقد رددت هذه التهمة مؤخرا رسالة بصرانية في الهجوم على القرآن الكريم تحمل اسم المجلس الملي النسطي بالاسكندرية (٥) .

وفد أصبح معروفا لكل مهتم بالكتاب المقدس لدى اليهود والنصارى أن هذا الكتاب عبر أهل للثقة ، إذ يخلط فيه الحابل بالنابل ، ويزدحه بالأخطاء التاريخية والرياضية والعلمية . وبمع المناقضات حتى في الصفحة الواحدة في أحبان كثيرة . وقد ألف في بيان ذلك ما لا يحصى من الكتب والرسائل بأفلام مفكرين ورجال

دينهم قبل غيرهم .

ولسوف أكتفى هنا بذكر بعض ما تنبّهت إليه من هذه الأخطاء ،  
والتناقضات فى سفر « أستير » ، وهو السفر الذى جاء فيه ذكر  
هاسان الفارسى وزير الملك أخشويرش . وهذه الملاحظات هى ثمرة فراءة  
سريعة لهذا السفر .

وسوف أعدت عن ركافة الأسلوب فى القصة . وبالذات الفقرة  
الأولى منها حيث تتعشّكل الحمل فى يد الكاتب وتتمزق طيوطها ببدور  
حول نفسه بكمز ما سبق أن قاله كى نسنفس له العبارة بعض  
الاستفهام ، وهبهات ! ولا يعقل أن يكون مثل هذا الكلام الردى .  
الأسلوب وحيا من عند الله ولا يعقل أبضا أن ينزل وحى سماوى  
يسارك المعبرة والتوصل بها الى عزو الفصور الملكية واقتناص قلوب  
الاماطرة والنفتن فى إسالة لعبهم وفودهم من أوفهم للوصول إلى ما  
براد منهم من الاعراض الميائية . لا ، ليس يعقل أن نوحى السماء  
لنبى ( او حتى لشيطان ) مثل هذا الكلام !

ويتلخص سفر أستير فى أن احشويرش ملك الفرس أراد من  
زوجه أن تظهر معه فى أحد الأعياد كى يرى الناس أنبتها وحمالها  
وزينتها . لكن الملكة رفضت ذلك ، فما كان منه إلا أن غضب عليها

وطلقها ، ونشر مرسومًا فى طول البلاد وعرضها بهذا . ثم زين له  
بعض رجال حاشيته أن يجمعوا كل من فى إمبراطوريته المترامية  
الأطراف من عذارى ثائنات ليختر مشى من يرقن له . وكان من  
أولئك الفتيات أستير اليهودية ، التى بعد أن قصى معها الملك ليلة  
داعرة استحوذت على قلبه فحببها إليه ونزوحها . وكان هناك وزير لهذا  
الملك اسمه هامان اضطفن على مردحاي ابن عم أستير هذه دون أن  
يعرف بالقرابة التى بينها وبينه . فأراد أن يهلك كل اليهود الذين  
بالبلاد . بيد أن مردحاي بتصل بأستير وبعلمها بالمصيبة التى ستحل  
باليهود ، ويدبر معها مؤامرة توضع بالوزير فى ما أراد أن يصعبه  
بمردحاي ، فيصلب هو وبسوءه على نفس الخشبة التى كان قد أعدها  
لصلب ذلك اليهودى عليها . ويستغش اليهود فى البلاد ويعملون السيف  
فى الرقاب ويقتلون عشرات الآلاف ويحعلون من اليوم الذى بشعوا فيه  
وارتدوا من الدماء عيداً لهم يحتفلون به فى كل عام . ويجعل الملك  
مردحاي ونبتاً لوزرائه واضعاً فى يده كل شئ .

والنعمل طاهر فى القصة أشد الظهير ومن ذلك أن للعدد  
« سبعة » سطرة على سائر عناصرها : فالملك لا يفكر فى استدعاء  
زوجه لاراء فتيتها وزينتها للباس الا فى اليوم ( السابع ) من بد.

الاحتمالات بتولية الحكم ، وعدد الخصيان في قصر الإمبراطور سبعة ،  
 وعدد مستشاري الملك ( أو ، كما يقول مؤلف القصة ، الحكماء  
 العارفين بالارصه ) سبعة ، وعدد الفتيات اللاتي اصطفيين للملك  
 اصطفاً ، من بين آلاف العذارى الحميلات المجموعات من أنحاء المملكة  
 سبع . ثم إن أمير قد دخلت على الملك في السعة السابعة من جلوسه  
 على العرش . وولايات الإمبراطورية مائة و ( سبع ) وعشرون ولاية .  
 ويظهر التعمل أيضا في ان الملك ، حين يريد من زوجته الظهور  
 أمام الحبيب ، لا يكلمها بنفسه في ذلك بل لا يرنبه صتيقا كما  
 تفصي به تقاليد الملوك ، بل ينسب هذا الخاطر في دماغه فجأة بعد أن  
 لعبت الحمر بعقله ، أو بعبارة ملفق القصة : « لما طوى قلب الملك  
 بالحرر » ليس هذا فحسب ، بل إنه لا يجد الا حصيان القصر  
 ليرسلهم الى الملكذ كي تعطر ، وكأنها امرأة من غرض الطريق أو  
 بانعة في السوق . ولا يحجل مؤلف القصة من القول بان الملك لما  
 أراد الاثيان بالملكة وعلى رأسها تاج الملك « ليرى التعوي والرزاء  
 جمالها ، لانها كانت حسنة المنظر » وهذا ليست عادة ملوك  
 الشرق ، وبخاصة في ذلك الزمن القديم . وقد أتت الملكة أن تأتي ،  
 وحق لها . ولكن الملك ، على ما تقول القصة ، يستنيط عضها .

وتظل حاتية السوء ، فوسوس له وتنفخ في أذنه مهولة في عبينه صنيع الملكة ومروحة له أنه إذا لم يطلقها فسوف تكون مثلاً سيئاً بغرى نسوة المملكة بعصيان أزواجهن والخروج على سلطانهم . وفعلاً يطلقها الملك وواضح ما يرمى إليه ملحق القصة . إنه بمهد الطريق أمام أستير لتعتلى العرش وتحكم أيدي قومها في رقاب الفرس ، الذين كان اليهود يعيشون بين أظهرهم . بيد أن أصول الفن القصصى تقتضى التشويق والنطويل والوصف المدعّد للشهيدات ، فنقرأ أن بعض رجال الحاتية اقترحوا على الإمبراطور أن تُجمع له من أنحاء البلاد سوايانها المانة والسبع والعشرين كل عذراء جميلة كي ينتخب منها واحدة تحل محل الملكة المظالفة وللقارىء أن يتصور كم يبلغ عدد هؤلاء العتيات ، وكيف سيكون زحامهن عندما يتجمع كلهن في القصر قبل أن تُنتخب منهن سبع يدخلن على الملك واحدة بعد واحدة ، في كل ليلة واحدة يفضى معها العاهل الليل بطوله ، وفي النهاية يقرر أيتها التي تصلح له

ويقول مزلف القصة إن النحصى المؤكل بهذا الأمر كان يسقى سنة كاملة في تهيئة العتاة لقضاء ليلتها مع الملك : سنة أشهر في تعطيها بزيت المر ، وستة أشهر بالأطياب والأدهان . ونعوز أسنبر دون العائنات



جميعًا بقلب الملك ويتخذها زوجة . وتكتسب حقيقة يهوديتها عنه كما أوصاها مردخاى .

ويعلم مردخاى بمغازرة كان بدبرها اثنان من خصيان الملك لقتله . وتدور سذاجة القصة في قولها إنه علم بذلك وهو جالس على أبواب القصر ، وكان باب القصر مكان يتجمع عنده كل عاطل ليس عنده عمل يشغله . ثم متى كانت المآامرات تدبر على باب القصور ؟ بل كيف يفكر خصيان لا حول لهما ولا قوة ولا أتباع ولا عزرة في قلب نظام الحكم في إمبراطورية عريقة كإمبراطورية الفرس ؟

على أية حال فإن مردخاى يقوم بنقل السر إلى أستير ، التي تخبر بدورها الملك فيقبض على الحصبين ويحقق معهما ويصلبهما . وتدور الحادثة في حويلات المملكة .

وكان هامان رئيس الوزراء ، عند دخوله على الملك أو خروجه من لدنه ، يسجد له حسب أوامر الإمبراطور المولفون الذين بباب القصر . أما مردخاى فقد أصر على ألا يعشو أو يسجد ، رغم أنه مجرد أجنبي غريب ، وفوق ذلك يهودى مستضعف . ويمتلىء هامان غضبا ، ولكنه لا يفكر في الانتقام من مردخاى وحده بل من يهود المملكة جميعا ، ويعطيه الملك تفويضا مطلقا يعمل كل ما يريد بهم .

ويعلم مردخاي بالأمر . وكان المفروض أن يكون علمه به عن طريق الملكة ابنة عمه ، التي لابد أن يطلعها الملك على الأمر . أليست زوجته ؟ ألبس الملوك بتحدثون عادة أول ما يتحدثون إلى زوجاتهم ؟ لكن معرفة مردخاي بهذا الفرار لم يكن عن طريق أستير ، بل كان هو الذي أعلمها به . أنا كيف توصل إلى إخبارها بما علم فتقول القصة إنه لبس مسحا وذهب وهو يصرح وينوح إلى باب القصر فرأته جوارى الملكة وخصيائها ، الذين أسرعوا وحكوا لها ما شاهدوا وما سمعوا . وتخطط أستير ، لتحريض من ابن عمها ، لإحباط المؤامرة . هامان والإيقاع به في نفس الشراك الذي كان قد نصه لمردخاي وقومه ويتصادف ، ويا للعجب ، أن يصاب الملك في ذلك الوقت بأرق لا يجد ما يذوده به عن نفسه إلا إحضار حويلات المملكة والقراءة فيها . ويتصادف أن يقرأ فيها قصة المؤامرة التي دبرها له الخصيان وكشف أمرها مردخاي ، ويذكر الملك عنده ، وعندئذ فقط ، أنه ينبغي مكافأة الرجل ويتصادف أيضا عند ذلك ، ويا للعجب ، دخول هامان على أحشوريش ، الذي يبادره بالسؤال عما ينبغي فعله لرجل يسر الملك أن يكرمه . وبطل هامان أن الملك بقصده فيشير عليه بأن يلبسه صلابه السلطانية ويحلق عليه تاحه وبركه على فرس تطوف به ساحة

المدينة وأمامه الخدم ينادون ، فيأسره الملك عندئذ أن يسرع فيفعل هذا  
مردخاي اليهودي . وللقاريء أن يعجب من الأسلوب الذي اتبعه الملك  
في احبار وزيره بما يريد وكأنه يلعب لعبة « حاورني يا قطيطة » ،  
فيلف ويدور فل أن يصارحه في النهاية باسم الشخص المراد تكريمه .  
إنها هي هي حبكة القصص الشعبي ، وبالمثل كما يعرفه في « ألف  
ليلة وليلة » . ولا ننس أن « ألف ليلة وليلة » هي في أصلها الأول  
عمل فارسي هندي . وقد كان أحشويرش ، كما جاء في قصة أنتير ،  
ملكًا على بلاد فارس والهند جميعا .

وفي وليمة كانت أسيّر قد أعدتها لأحشويرش ومعه هامان  
يعرض الملك عليها أن تطلب أي شيء تريد . حتى لو كان ذلك نصف  
المملكة . كي يحققه لها في الحال ، فتجبره بالحقد الذي يكنه هامان  
لشعبها ، فيقوم الملك معتاطًا ويخرج إلى حديقة القصر تاركًا زوجته مع  
وزيره ، الذي أكب عليها يستعطفها على سريرها . وساعتها يعود الملك  
فيجدد على هذا الوصف فيظن أنه يراودها عن نفسها . وواضح مدى  
السذاجة في ترتيب أحداث القصة على هذا النحو الذي يبنى المؤلف به  
الظروف لايقاع النكاح بالوزير . ويامر الملك بصلب هامان وتمكين  
مردخاي وشعبه من أعدائهم ، فيبتلون عشرات الألوف بما فيه

الأطفال والنساء ، وهى مقدمتهم هامان وأنازه ، ويستولون على أموالهم وممتلكاتهم . وهى نهاية تذكرنا بنهايات القصص الشعبية حتى إنه لم يبق إلا أن يقال : « وعاش اليهود فى نيات ونبات ، وخلفوا صبيان ونبات ! » .

هذه هى القصة التى يريد المعارضون على كتابنا أن يحاكموها إليها . إنها لا يمكن أن تكون وحياً ، فليس من العقول أن يكون موضوع الوحى مثل هذا الفصل الجنسى ولا أن يكون أسلوبه بالركاكة التى أشرت إليها . وكذلك يمنع من الاطمئنان إليها كتاريخ ما فيها من تعبد زائد ومصادفات متكررة ومخافة منطق العقل والأحداث . إن روح الحوادث وحكمتها الفنية واصحان فيها أشد الوضوح .

ويشكك د. أحمد ملى فى هذه القصة ، مؤكداً أنها ليست من التاريخ فى شئ ، « إنما هى أسطورة يرسم بها مؤلفها الطريق للنساء الإسرائيليات أن يتخذن من حملهن وسيلة لخدمة سى إسرائيل وخدمة أغراضهم » (٦) . ويعزز هذا الرأى ما لوحظ من أن عزرا وحميا ( وهما من أنبياء العهد القديم ، ولكل منهما سه سفر قص فيه أحداث السبى السابق ) لم يشيرا إلى أستير ولا الى شئ مما جاء فى السحر المسمى باسمها . كما أن هيرودوت ، مؤرخ الاغريق الذى عاصر

الإمبراطور الفارسي آشوربورش وكتب سيرة حياته وحكمه ، لم يذكر شيئا مما ذكرته هذه القصة (٧) . وبذهب بعض الباحثين الى أن القصة يمكن أن تكون في الأصل أسطورة بابلية أخذها اليهود وحرفوها لتوائم أغراضهم ، إذ إن هامان هو اسم أحد الآلهة العيلاميين ، كما أن مردخاي هو اسم إله كلداني . أما اسم أستير فليس بعيدا أن يكون تعريفا للآلهة عشتار (٨) التي بُنِيت اسمها أيضا « أشتار » و « أستير » و « عشتروت » . ولعل هامان الوزير المصري الذي كان يساعد فرعون في اضطهاد بني إسرائيل قد اختلط بشخصية ذلك الإله العيلامي القديم وحرحت من هذا المزيج تلك الفضة التي يقصها علينا كاتب سفر أستير .

ولعل من المفيد أن نشرح للفارئ، كيف بوصى احبار اليهود شعبهم بالاحتفال بعيد البوريم ، وهي المناسبة التي تقول هذه الفضة إن الله قد نحي فيها اليهود وأوقع باعدائهم على يد أسنير ومردخاي . « يقول رب ربنا Rabi Raba إن على الإنسان أن يهرب في ذلك اليوم حتى لا يستطيع التمييز بين نولهم ؛ سلعون هامان ، و سلعون موردخاي » (٩) وهي طريقة في الاحتفال تناسب تماما ما في القصة من حسن وخسر ومزامرات سياسية تحكها أيدي الغالب والقواويل

رمى الكتاب المقدس لدى اليهود والنصارى نحد تساءً أحرىات  
 يقس بنفس هذا الدور الذى قامت به أستير ، مثل يهوديت ، الأرملة  
 الحميلة التى لها سفر باسمها كسفر أستير فى نسخة « العهد القديم »  
 الكاثوليكية ، وسالوصي ، التى رقصت عارية أو تبه عارية لعضها  
 الوالى شحريض من أضها الفاحرة حتى سال لعبه وفقد عقله وهو يراها  
 بكل شبانها وفنتتها تتلوى أمام عينيه فقدم لها رأس يحيى عليه  
 السلام على طبق حسما أرادت كى يخلو الجو لها ولأمها للفحور مع  
 ذلك العه النذل ، كما جاء فى العهد الجديد

على أننا نحد أن ننظر أيضا قىما سحله العهد القديم من  
 أحداث القصة التى سكن فيها بنو إسرائيل مصر منذ أن هاجر إليها  
 يعقوب عليه السلام وأولاده إلى أن خرج موسى وقومه منها . ذلك أن  
 هامان قد ورد ذكره فى القرآن الكريم فى آخر حلقة من حلقات سكنى  
 الإسرائيليين فى مصر ، وهو ما ينكره المعترضون على كتابنا المجيد  
 بحجة أنه لم يحنى له ذكر فى سفر « الخروج » فى العهد القديم ،  
 فريد أن ننظر فيما رواه كتاب القوم عن بنى إسرائيل فى بلاد الفراعنة  
 لرى مقدار ما فيه من استقامة أو انحراف ويعرف إلى أى مدى يمكن  
 الركون إلى ما يقول واتخاذ مستنداً تاريخياً يعول عليه .

وفد قرأت قصة بنى إسرائيل في مصر كما جاءت في العهد  
القديم قراءة سريعة فخرحت منها ببعض الأشياء التي يجب عرضها على  
القارئ، كي يكون على بينة من أمر كتابهم المقدس الذي يريدون أن  
يحاكموا القرآن إليه . وقبل أن أعرض ملاحظاتي أسوق ما وحده علامة  
الاندلس ابن حزم العظيم في العهد القديم من خطأ فاحش وقع عند  
حساب المدة التي قضاها بنو إسرائيل في مصر القديمة . وذلك أنهم  
يقولون إن قاحات من لاوي بن يعقوب دخل مصر مع أبيه وحده وعمره  
١٢٣ سنة ، وإن عمران بن قاحات عاش ١٣٧ سنة . وإن موسى بن  
عمران خرج مع بنى إسرائيل من مصر وهو ابن ثمانين سنة ( ١٠ )  
فلو افترضنا أن قاحات دخل مصر في أول حياته ، وأن كلا من عمران  
وموسى وُلد بعد وفاة أبيه لكان مجموع السنين التي قضاها بنو  
إسرائيل في مصر من لدن دخول يعقوب إلى خروج موسى ٣٥٠ سنة ،  
على حين يقول العهد القديم أن مجموعها ٤٣٠ سنة ( ١١ ) . فارق  
٨٠ سنة بين الحسابين . وحتى لو افترضنا السنوات التي قضاها  
يوسف بمصر قبل مجيء قومه ، وهي ٢٢ سنة ( ١٢ ) لظل هناك فرق  
٥٨ سنة وهذا بطبيعة الحال لم تصادف أن كان دخول قاحات مصر  
في سبيل حياته ، ووُلد كل من موسى وعمران كما افترض ابن حزم

بعد موت أبيه . وهي مساسحة شديدة من ابن حزم ، إذ يصعب جدا  
 حدا أن يتحقق ذلك ( بل هو لم يتحقق فعلا ) في الواقع ، وإلا  
 فالفرق بين الحسامين أكبر من ذلك كثيرا . والقوم هم هم الذين ذكروا  
 الحساين ، لا أحد آخر . ويقول ابن حزم تعقبا على هذا التناقض :  
 « ولو لم يكن في توراتهم إلا هذه الكذبة وحدها لكفت في  
 أنها موصوعة مبدلة من حمار في حبله أو مستخف سحر بهم  
 ولان » ( ١٣ ) .

وقد وجدت تناقضاً في تعداد بني يعقوب الذين أتوا معه إلى  
 مصر ، إذ قيل إنهم ٦٦ نكلاً ، وفي السطر التالي لذلك مباشرة أنهم  
 ٧٠ ( ١٤ ) . وهذا تناقض فاحش ، ويزيده فحشاً أنه في سطور  
 متتالين . والحقيقة أن العدد الصحيح ، كما لاحظ ابن حزم ، لا هو  
 هذا ولا ذاك . إنما هو ٦٧ ( ١٥ ) . ويمكن القارىء، التحقق من ذلك  
 بنفسه لو قرأ الآيات ٨ - ٢٦ من الأصحاح السادس والاربعين من  
 سفر « التكوين »

كذلك يرتبك قارىء العهد القديم حينما يجد أن الأرض التي  
 سكنها يعقوب وأولاده في مصر هي أرض جاسان مرة ( ١٦ ) ، وأرض  
 وعسميس مرة أخرى ( ١٧ ) .



وفى الأصحاح التاسع والأربعين من سفر « التكوين » تناقض آخر ، إذ جاء فى الآية ٢٨ أن يعقوب حين دعا نبيه إليه فبيل صوته ساركتهم واحداً واحداً ، بينما كان كلامه لشمعون ولأوى فى نفس الأصحاح ( آيات ٥ - ٧ ) على هذا النحو : « شمعون ولأوى أخوان آلات ظلم سيوفهما . فى مجلسهما لا تدخل نفسى . بمجمعتهما لا تتحد كرامتى لأنهما فى عضبهما قتلا انساناً وحقى رضاحما عرضاً ثوراً . ملعون عضبهما فانه تنديد . وسخطهما فانه قاس . أنسهما فى يعقوب وأفرقهما فى إسرائيل » . وهذا لعل لا مباركة . وقبيل ذلك وجه الحديث إلى راوبين ، الذى زنى بأحدى سرارى أبيه ( ١٨ ) ، قائلاً : « ... فائراً كالماء لا تشفضل . لأنك صعدت على مصجع أهلك . حينئذ دنته ، على فراشى صعد » ولا أظن هذا من المباركة فى شيء . أما قوله عن راوبين نفسه فى أول حديثه إليه : « راوبين ، أنت بكرى وقوتى وأول قدرتى . فصل الرمعة وفصل العز » فهو كلام لا يمكن أن يخرج من فم نبي كريم إن صح ما بقوله العهد القديم عن اعتداء ابنه على عرصه ذلك الاعتداء الشنيع . إنما هو بكلام الدنوثين أنفسهم ، وإلا فكيف يعتذر يعقوب هذا الافتحار بذلك الابن الفاجر المعتدى على عرضه ؟

وإذا قرأنا قصة ولادة موسى وما فعلته أمّه بعد أن لم تستطع الاستمرار في إخمائه عن عيون رجال فرعون الموكلين بقتل الرضيع من بني إسرائيل نجد أن كاتب القصة يقول إن أم موسى أخذت سفطا من البردي وطلته بالحمر والزفت وأرقدت الطفل فيه ، ثم وضعت بين الحلاء على حافة النهر ، حيث التقطته ابنة فرعون (١٩) . وواضح أن التابوت لم يَلَقَ في الماء . وإنما لتسأل : فلم إذن طلته الأم بالحمر والزفت ، وهما المادتان اللتان تَطْلَى بهما القوارب وما أشبه لمنع دخول الماء فيها حتى لا تفرق ؟ إن هذا ، لو صح أن التيفظ لم يَلَقَ في الماء ، لهو تصرف يفتقر إلى المنطق والحكمة فإذا مصينا في القراءة فوجئنا بأن ابنة فرعون تسميه « موسى » وتقول : « إني انتشلته من الماء » (٢٠) . وهكذا يتبين لنا ، مما يقوله كاتب السمر نفسه ، أن التيفظ كان قد ألقى في النهر لا على الحلاء الناشئة على نطه . ومعنى هذا أن القصة تتناقض مع تصيها أما القرآن فقد قال قولا واحدا إن الله سبحانه قد ألهم أم الرضيع أن تلقى به في تابوت وتقف بالتابوت في اليه (٢١)

ومثل هذا التناقض نجده في اسم حسي موسى . فهو مرة وشوبل (٢٢) ، ومرة يشرون (٢٣) . وذلك في عدة أسطر قلائل لا

غير ، ومرة ثالثة حوارات بين راعونيل (٢٤) ، وهذه الثالثة أظم وأدعى ، لأنه بهذه الطريقة قد أصبح ابن نفسه .

وبفس الشئ . نجده فى الاسم الذى سقى به رب العزة نفسه لموسى كى يحبر به سى إسرائيل ، وذلك حين سأل موسى قائلاً : « فإذا قالوا لى : ما اسمه ، فماذا أقول لهم . فقال الله لموسى : أهيه الذى أهيه وقال : هكذا تقول لبنى إسرائيل : أهيه أرسلنى إليكم » . وفى الآية التالية مباشرة يكرر الله كلامه لموسى قائلاً : « هكذا تقول لى إسرائيل : يهوه إله آبائكم إله إبراهيم واله إسحاق واله يعقوب أرسلنى إليكم . وهذا اسمى إلى الأبد » (٢٥) فهل هو أهيه أ ، يهوه ؟ أليس ذلك مربكاً ؟ ثم أهدا هو الكتاب الذى يجعله القوم أساناً يقيسون به صحة ما جاء فى القرآن أو خطأه ، وبخاصة فى مسألة الأسماء ؟

وعند إخبار الله تعالى عبده موسى أنه قد اختاره نبياً يجعله كاتب سفر « الخروج » يعترض على هذا الاختيار الإلهى ويكلمه ربه على نحو غير لائق الشئ ، إذ يقول : « اسمع أيها السيد . لست أنا صاحب كلام صد أسى ولا من حين كلمت عندك بل أنا ثقيل الفهم واللسان » . وحين يطمئن ربه إلى أنه سيبحث معه هارون ليكله فرعون

بالنيابة عنه يمضى موسى فى الاعتراض الخشن قائلاً : « استمع أيها السيد . أرسل بيد من ترسل » . ويفترى كاتب القصة على الله قائلاً : « فحمى غضب الرب على موسى » ( ٢٦ ) . إن القصة بهذه الطريقة تصور موسى فى حطائه لربه وكأنه بفوى جلف يكلم بدويا حلقاً مثله . ثم كيف يحمى غضب الله على من اختاره بنعمه نبيا لحمل رسالته ؟ وليس شئ من ذلك فى القرآن الكريم ، فصورة موسى ، مثل سائر الانبياء ، هى الصورة التى تليق برسول الله أدباً مع ربه وإحساناً له ومعرفة بقدرة وجلاله .

وعلى خلاف القرآن الكريم ، الذى يجعل من هارون نبيا مع موسى ووزيراً ويعصدا له ( ٢٧ ) ، يجعله كاتب سفر « الخروج » نبيا لموسى ، ويحمل موسى إليها له ( ٢٨ ) ، وكذلك إليها لفرعون ( ٢٩ ) . فما هذا الاضطراب ؟ وما هذا السحق ؟ بل ما هذا الكفر ؟

وفى سفر « الخروج » أيضا يأمر الله سبحانه موسى أن يدخل هو وشيوخ بنى إسرائيل إلى فرعون ويطلبوا منه أن يطلق سراح قومهم ( ٣٠ ) ولكن بعد صفحتين اثنتين فحسب ينسى مؤلف السفر ذلك ويقول لا منه أن الذى دخل على فرعون وطلب منه هذا هو موسى وهارون ، لا موسى وشيوخ بنى إسرائيل ( ٣١ ) .

ويشبه هذا أن الله ، عند لقائه بموسى ، يأمره أن يصنع آيئتي العصا واليد بنفسه ، وعند التنفيذ نجد أن هارون هو الذى يفعل هذا لا موسى (٣٢) ، وبناءً على أمر الله أيضا (٣٣) .

كذلك نجد نفس الاضطراب عند الكلام عن معجزة تحويل الماء إلى دم ، إذ يهدد موسى فرعون انه سيطرب بالعصا التى فى يده على الماء الذى فى النهر فتحول دما ويموت السمك الذى فيه وينشئ النهر . ثم بأمر الله عقيب ذلك موسى أن يجعل هارون هو الذى يصنع هذا (٣٤) .

وكان الله قد طلب من موسى أن يأخذ من ماء الهر ويسكب على اليابسة فبصير الماء الذى يأخذه من النهر دما على اليابسة (٣٥) . ولكن عند التنفيذ نجد أن هارون أيضا هو الذى يقوم بذلك ، لكن ليس على هذا النحو ، إذ ضرب هارون الماء الذى فى النهر فتحول كله دما ... إلخ وهذا أيضا تناقض .

وجاء فى الأصحاح السابع من هذا السفر أيضا أن هارون أكبر من موسى بثلاثة أعوام (٣٦) ، رغم أن الأصحاح الثامن يقول عن ولادة موسى : « وذهب رجل من يسن لاوى وأخذ بنت لاوى ، فحبلت المرأة وولدت ابنا . ولما رآه أنه حسن خبائه ثلاثة أشهر . ولما لم

يمكنها أن تخزنه بعد أخذت سفظا من البردى وطلته بالحمر والزفت ووضعت الولد فيه ووضعت بين الحلفاء على حافة النهر . ووقفت أخته من بعيد لتعرب ماذا يُفعل به « ( ٣٧ ) ، وهو ما يُفهم منه أن موسى هو بكر أبيه ، أى أنه كان أكبر من هارون . وحتى لا يقول أحد : « لعل هارون لم يكن تقيق موسى » أبادر فأذكر أن أباهما واحد ( وهو عمراء ) ، وأمهما واحدة ( واسمها ) ، كما جاء فى العهد القديم ، يوكابد ( ٣٨ ) .

وفى التسيحة التى ترنم بها موسى وشعبه بعد غرق فرعون وحنوده فى اليمّ سمعته يصفون عرق أعدائهم قائلين : « هبطوا فى الأعماق كحجر » ، و « عاصوا كالرصاص فى مياه عامرة » ( ٣٩ ) ، وهو ما تكرر أيضا على لسان اللاويين فى سفر « نحميا » ، إذ قالوا فى مشاحاتهم لربهم : « ورأيت ذل آبائنا فى مصر وسمعت صرايحهم ... وفلقت اليه أمامهم وعبروا فى وسط البحر على اليابسة وطرخت مطاردتهم فى الأعماق كحجر فى مياه قوية » ( ٤٠ ) ، وذلك روع أن فرعون وحنوده لم يقتحموا الماء حتى يقال إنهم عاصوا فيه كحجر ، بل الماء هو الذى غطاهم كما جاء فى العهد القديم نفسه ( ٤١ ) . أما القرآن الكريم فلا يقول إلا أنه قد « غشيهم من اليم ما

غشبهه « (٤٢) ، وهو ما يتسق مع الطريقة التي غرق بها أعداء بني إسرائيل كما وصفها كل من الكتابين .

ويقول سفر « الخروج » ( ٢٢ / ٢٠ ) : « قال الرب لموسى : لا تقدر أن تبنى وجهي ، لأن الإنسان لا يراني ويعيش » ( وإن قيل عقب ذلك إن من الممكن أن ينظر موسى وراء الله بعد أن بجناز ، وكان لله خلقًا وقَدَامًا ، وظهرًا ووحيا بالمعنى الحرفي للظهر والوجه ! ) (٤٣) . ونسى كاتب السفر أنه قال في موضع آخر إن الله كان بكلمة موسى « وجها لوجه كما يكلم الرجل صاحبه » (٤٤) . وهو ما أكدته سفر « العدد » ، إذ جاء فيه ( ١٢ / ٧ - ٨ ) : « وأما عبدي موسى فليس هكذا بل هو أمين في كل بيتي . فتأ إلى فم وغيانا أتكلّم معه لا بالالغاز » ، وقاله موسى نفسه حسما جاء في سفر « التثنية » ( ٥ / ٤ ) : « وجّهنا لوجه تكلم الرب معنا في الجبل من وسط النار » . ليس ذلك وحسب ، بل رأي الله مع موسى هارون وناداب وأيهو وسبعون من شيوخ بني إسرائيل : « رأوا إليه إسرائيل وتحت رجله شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السما . في الشقاوة . فرأوا الله وأكلوا وشربوا » (٤٥) أما القرآن الكريم فإنه يؤكد أنه لا موسى ولا بنو إسرائيل قد رأوا الله ، فقد

أصااته كما أصابهم الصاعقة (٤٦) وهذا هو اللاتن بحلال الآلهية وعظمتها اللاهوتية

ومن شائع الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى قوله إن هارون عليه السلام هو الذي صنع العجل الذي عبده بنو إسرائيل أثناء غياب موسى أربعين ليلة حتى ذهب ثبثات ربه ، وإبه بنى مذبحا لعبادة ذلك العجل أحد الاسراييلون يرقصون فيه عرايا وقد نالت سوياتهم وتعرت أمتاحهم . وزاد كاتب القصة فسب إلى هارون الكذب ، إذ ادعى لموسى انه لم يفعل أكثر من أن طرح الذهب الذي جمعه من بني إسرائيل في النار فخرج العجل ، مع أن القصة تقول إنه هو الذي صنعه ونحته بالإزميل حتا (٤٧) . ولكن القرآن يقرر أن الذي صنع العجل إسماعيل السامري ، وإن هارون قد رفض ذلك رفضا قاطعا ووقف في وجه قومه ولكنهم لم يستمعوا له وكادوا أن يقتلوه (٤٨)

وهذا الذي يقوله القرآن هو ما يشبه العقول ويهش له الضمير ، إذ لا يمكن أن يقدم بني على صنع صنعة وعبادته ، وإلا كانت النبوة عشا في عشا . إن هارون بذلك الذي سبه إليه مؤلف سفر « الخروج » مهتما وكذبا يكون أول من خالف الوصايا التي تلقاها موسى على الجبل لسلعها قومه . « لا تكن لك آلهة أخرى أمامي . لا تصنع لك



نشالا منحوتًا ولا صورةً مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض ، لا نسجد لهم ولا تعبدون ، لأنى أنا الرب إلهك عيور » (٤٩) . « لا تصنعوا معى آلهة فضة ولا تصنعوا لكم آلهة ذهب » (٥٠) .

على أن اضطراب القصة لا يفت لحمد هذا الحد ، فهى تقول إن موسى عليه السلام قد أمر بنى لاوى ( الذبى هو واحد منهم ) أن يقتلوا جميع دويهم وأصدقاتهم وأهل بلدهم ممن افترسوا حطيئة عبادة العجل ، وإن محصلة القتل فى ذلك اليوم كانت ثلاثة آلاف رجل ( ٥١ ) . ونسائل أبو الأعلى المودودى حق : « لم لم يقتل هارون إذا كان هو صاحب عبادة العجل ؟ لم لم يطلب هو لاوى من موسى أن يقتل أحاد هارون ، الذى كان هو الأثم الحقيقى ، بالضبط كما طلب منهم أن يقتلوا اخوتهم ؟ » إن الكتاب المقدس ، كما لاحظ المودودى أيضا ، يذكر أن موسى بعد هذه الواقعة رجع إلى ربه داعيا إياه أن يعفو لقومه خطاياهم أو يمحوه من كتابه ، فأجاب الله قائلا : « إن من أخطأ إلى أصحابه من كناسى » ، ومع ذلك لم يُمح اسم هارون ، بل على العكس حلع الله عثبه هو وأولاده وسائر ذريته مسؤولبة الكهانة والقيام على المذبح ( ٥٢ ) . ويخلص المودودى من ذلك

إلى أن الكتاب المقدس يناقض نفسه بنفسه ، وأن الحقيقة هي ما قاله  
القرآن الكريم عن أن هارون سرق ، تماماً من صنع العجل وسر  
عبادته (٥٣)

ويبدو غريباً أشد العراة أن يقول الله عن نفسه حسبما جاء من  
أكثر من موضع بالعهد القديم : « أفنقد ذنوب الآباء ، في الأبناء ، من  
العجل الثالث والرابع من معصي » (٥٤) . والأعرب من ذلك أن  
يذكر إلى جانب هذا قوله سبحانه عن نفسه أيضاً : « عاصي الله  
والمعصية والحظية » (٥٥) ، إن هذا لا يتسق مع ذاك أبداً . وعن  
المسلمين نؤمن أنه سبحانه غفور رحيم ، وأنه إن عاقب فسيعاقب  
المخطئ ، فقط ولا يحتمل وزره وأزره أخرى ولو كانت ذات قريب . فهكذا  
قال القرآن الكريم ، وهو الذي يوافق العجل والكرم الإلهي .

وصى سفر « العدد » بقراً أن هارون وسريم قد تكلموا على  
أخيهما موسى « بسبب المرأة الكوشية التي اتخذها فقلا هل كلمه الرب  
موسى وحده أما يكلمنا نحن أيضا » ، وأن الله قد عصب عليهما  
ثم نفاحاً عقيب ذلك أن سريم قد عوقبت وحدها ، وكان عقابها  
إصابتها بالمرض (٥٦) . أليس غريباً أن يحترج اثنان نفس السبية  
معاقب واحد فقط ؟ وأعرب من ذلك أن الله لا يعاقب هارون على

صنع العجل ، وهو كفر بواح ، ويعاقب مريم على ما لا يمكن أبداً  
قبائمه بذلك . إذ هو إن صُح لا بعدد غيره بين الإخوة . وأيس الكفر  
من العبرة التي تكون بين بعض الإخوة والأخوات ؟

وينسب كاتب سفر « الحزق » الندم إلى الله سبحانه . ويجعل  
ندمه بناءً على أمر موسى له : « لماذا يا رب بَحَيْ عَضْبِكَ على  
تعبك الذي أَخْرَجْتَهُ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ بِقُوَّةٍ عَظِيمَةٍ وَبِدَ شَدِيدَةٍ ... أَوْجَع  
عَنْ حُمُو عَضْبِكَ وَأَنْدَمَ عَلَى النَّارِ بِتَعْبِكَ ... فَندَمَ الرَّبُّ عَلَى الشَّرِّ الَّذِي  
فَعَلَ إِنَّهُ يَفْعَلُهُ بِتَعْبِهِ » (٥٧) . وكان الله قد غَضِبَ عَلَى شَيْ  
إِسْرَائِيلَ لِعِبَادَتِهِمُ الْعِجْلَ . ومع هذا ففي سفر « العدد » يقول بلعام  
عنه عز وجل : « اصْنَعْ إِلَهِي يَا ابْنَ صَفُورَ . لَيْسَ لِلَّهِ إِنْسَانًا فَيَكْذِبُ .  
وَلَا ابْنَ إِنْسَانٍ فَيَنْدَمُ » (٥٨) . وهذا ، وإن كان هو الذي بَلَّغَ بِعَظَمَتِهِ  
سُجْنَهُ ، يَتَنَاقَضُ أَيْضًا تَنَاقُضٌ مَعَ النَّصِّ السَّابِقِ .

وبعد ، فهذه فقط بعض الأخطاء والسحافات والتناقضات  
والإحالات التي وقع فيها الكتاب المقدس في الفصصتين اللتين يريد  
المؤمنون به أن يحاكموا بهما الفرأ الكريمة . وما من مرة وضعنا ما  
جاء في القرآن الكريم بإزاء ما قاله ذلك الكتاب إلا ومُثِّلَتْ كُفْرُهُ  
ورُحِنَتْ كُفَةُ الْقُرْآنِ .

إذن ، فلا معنى للاحتجاج بأن اسم هامان قد ورد في العهد القديم بصفته وزيراً لأحتشِيرش الفارسي ، لا وزيراً للفرعون كما جاء في القرآن الكريم . ومع هذا صوف نعص الطرف عن كل ما مر كأنه لا يمكن ، وسنفترض أن هامان كان فعلاً وزيراً للإمبراطور الفارسي ، فهل يمنع هذا أنه كان هناك هامان آخر قبل ذلك في مصر ؟ أم ترى هذا أمراً مستحيلاً ؟ ولكن ما وجه الاستحالة في ذلك ؟ لقد ورد هذا الاسم في أوراق البردي المصرية (٥٩) كما كانت العلاقات بين مصر وفارس قائمة على قدم وساق في الزمن القديم مثلها في العصر الحديث ، فأى عرابة في أن يوجد اسم « هامان » هنا وهناك ؟ هذا إن كان الاسم واحداً ولم يكن لكل منهما اشتقاق مختلف ، مثل « بوسي » ، الذي كانت تسمى به أم البشر في أساطير الصين القديمة ، و « بوسي » ، الذي تسمى به كثير من الفتيات المصريات الآن .

ويعتقد محمد عمر: دوزة أن اسم « هامان » الفارسي هو تحوير لاسم « آمون » الذي كان يتسمى به أو يُلَسَّب إليه ملوك مصر ووزرائها ، مشيراً إلى أن مصر في ذلك الوقت كانت خاضعة لسيطرة الفرس (٦٠) . ولربما لم نجد أمراً سعيداً ورأى حد قريب من هذا ، إذ يقول أن

النطق الصحيح لاسم « آمون » هو « أمان » ، وإن « هامان » ( الذى يرجّح أن يكون لقبا لكبير الكهنة فى مصر على عهد فرعون موسى لا اسمًا لأحد الوزراء ) هو لفظ مركب من اسم هذا الإله مسبوقًا بكلمة « حا » ، التى تعنى « المدخل » ، فيكون معنى اللقب هو « السافذ إلى آمون » (٦١) ، أى المتصل به والوسيط بينه وبين من يعبدونه . وقد كان هامان اسمًا كذلك لأحد الآلهة العيلامية كما مرّ بيانته . والمناسبة فـ « آمون » هذا هو أيضا اسم ملك أورشليم ، ابن الملك منسى ، ووالد الملك يوشيا ، الذى يقال إن حلقيا الكاهن قد وحد نسخة من شريعة موسى فى عهده (٦٢) . فما قول المنكرين فى هذا ؟ أتراح ينكرون ذلك الملك اليهودى أيضا لهذا السبب ؟ ومن شعراء العرب المعاصرين من تسمى باسمه « أدونيس » ، وهو اسم أحد الآلهة السورية القديمة ؟

ومن المصريين فى عصرنا من اسمه « حيرم » على اسم أحد ملوك صور القديمة . وكان فى حاشية الملك عبد العزيز آل سعود من اسمه « ( رشاد ) فرعون » . وقد كان اسمه « الناصرى » لقبا للسيد المسيح عليه السلام ، حتى حكم جمال عبد الناصر مصر فاصح كل واحد من أتباع خطه السياسى يسمى بـ « الناصرى » كما أن لقب

« المسيح » قد أطلقه إشعيا من قبل على قورش ملك الفرس ، وكذلك لُقّب به حزقيان ملك صور . وهناك كاتب مسرحى مصرى شهير اسمه « ليسين » نجيذاً ، فيما نظى ، لغائد الثورة الروسية . وأذكر أن أحد العلاّمين المصريين قد وُلد له طفل أيام العلاقات الوثيقة التى كانت بين عبد الناصر وحروتوف فسماه باسم هذا الأخير . ولا ننس أن زوجة جورباتشوف اسمها « ريسة » ( تحريفاً لكلمة « رنيسة » العربية فيما قرأنا ) . وأين امرأة روسية من مثل ذلك الاسم العربى ؟ وما لنا نمضى بعيداً وقد كان من النصارى فى عصر الجاحظ من ينسمون بأسماء المسلمين بل بأسماء آل البيت كالحسن والحسين والعباس والفضل وعلى ويكتنون بها ، حتى إن الجاحظ قد سخر من ذلك قائلاً إنه « لم يبق إلا أن يتسموا بمحمد ويكتنوا بأبي القاسم » ؟ ( ٦٣ ) وقد أشار المفريزى أيضاً إلى ظاهرة اشتراكهم مع المسلمين فى الأسماء والكُنَى ( ٦٤ ) . أما الآن فإنهم يكرهون أن ينسموا بذلك كراهية العمى

وما أكثر الأسماء التى يُطلق كل منها على أكثر من بلد ، مثل « Cairo » ( اسم « القاهرة » بالإنجليزية ) الذى تُسمى به عدة مدن فى مختلف أنحاء العالم ، و « باريس » ، الذى يطلق على العاصمة

الفرنسية وعلى فريسة معمورة في إحدى الواحات المصرية على ما ذكره د. أحمد أمين في كتابه « حياتي » ، و « سرافة » ، وهو اسم بلدة بكل من صعيد مصر وبلاد فاوس ، و « طرابلس » ، الذي يُطلق على « طرابلس الشام » و « طرابلس الغرب » جميعا ، و « حلوان » في كل من مصر والعراق . ولو رجع القارئ إلى « معجم البلدان » لياتت الحصى مثلا فسوف يجد كثيرا من هذه الأسماء ، التي قد يطلق بعضها على ثلاثة مواضع وربما أكثر . ومن ذلك « آمد » و « أنوان » و « أهر » و « الأثلة » و « برغوث » و « برقة » و « الجماهيرية » و « السند » و « العين » و « الكرش » ... إلخ ... إلخ . وقد كان اسم « بابل » يطلق أيضا على روما وإمبراطوريتها قبل الإمبراطور قسطنطيس أيام أن كانت تدين بالوثنية (٦٥) . وقد أشار إليها بذلك الاسم الفديس بطرس في نهاية رسالته الأولى . كما تكرر ذكر بوحنا اللاهوتي لاسم « بابل » في رؤياه غير مفسود به بابل المعروفة (٦٦) . ولعلها أورشليم وبابل ، حسما يدعى مؤلف سفر « التكريس » ، هي المدينة التي أراد البشر بعد الطوفان بناءها ، لكن الرب حقد عليهم وعلى تجمعهم في مكان واحد ونكلمهم لغة واحدة مددهم في أرجاء المعمورة ولبل ألسنتهم (٦٧) . فما القول في

هذا ؟ وفى كل من مصر والهند نجد كلية باسم « دار العلوم » . كما أن فى كل من بريطانيا وأمريكا جامعة باسم كمبردج . وما القول أيضا فى أن بعض المصريات بتسمين بأسماء دول ، مثل فرنسا وأندلس وسورية ، وأن « فارس » من أسماء أعلام الذكور المشهورة بين العرب ، وهو فى نفس الوقت اسم « إيران » قديما ؟ وهناك نساء عربيات بفقن الحصر اسمهن « هند » على اسم شبه القارة الهندية . وكذلك توجد منتجة سينمائية مصرية اسمها « آسيا » ، وهو اسم القارة المعروفة .

وينحذى أبو الأعلى المودودى الذين يخطئون القرآن لذكره هامان مع فرعون أن يقدموا قائمة بأسماء وزراء فرعون تحلو من اسم « هامان » ، وإلا فليس يحق لهم أن يعترضوا عليه (٦٨) .

وقد رأينا أن الحاحامات اليهود يجعلون وزير فرعون هذا واحداً من ثلاثة : قورح أو يشرون أو بلعام (٦٩) . فأما « قورح » فقد جاء ذكره فى سفر « العدد » فى العهد القديم على أنه واحد من تلك المجموعة من بنى إسرائيل التى نشرت على موسى ونجدته فحسف الله بهم ويدورهم وممتلكاتهم الأرض (٧٠) . وهو الذى جاء ذكره فى القرآن فى سورة « القصص » باسم « فارون » (٧١) . فأبى قورح هذا من



الوزارة لفرعون ؟ وأما « يشرون » فقد رأينا أنه اسم حمى موسى ، وكان كاهنًا من صديان . ويبقى « بلعام » ، وهو اسم الرجل الذي توصل إليه ملك مزاب ، على ما يقول كاتب سفر « العدد » ، لكي يلعن له بنى إسرائيل حين أشرف بهم موسى على بلاده بعد الخروج من مصر بسنوات . فلم يرص أن يلعنهم بل باركهم ( ٧٢ ) . فما علاقة رجل مثل هذا بفرعون والوزارة ؟ كما رأينا أن التلمود والمدراس يجعلان بلعام وأيوب وبشرون أعضاء في مجلس شورى فرعون ( ١٧٣ ) . وأما بلعام وبشرون فقد عرفنا أنهما لم يكن لهما علاقة بفرعون ولا بمصر حسب كلام العهد القديم نفسه . وأشد من ذلك إغراقاً في الخطأ القول بأن أيوب ، الذي ذكره العهد القديم نفسه بعد ذلك بزمان طوال ، كان عسراً في مجلس الشورى الفرعوني . أي أن علماء اليهود وأسماهم ممن يقيمهم أولئك المعارضون الذين ذكرهم الحافظ حجة على القرآن قد وقعوا في مثل ما اتهم به هؤلاء القوم الكتاب المجيد بل في أشد منه . فلماذا التنطع إذن والرعونة ؟

وقد رأينا كيف أن المدراس يقرن بين هامان وقارون ( ١٧٤ ) . مما يوحى بأنهما كانا منعاصرين . وهذا يقترب بنا مما جاء في القرآن أشد اقتراب .

وأخيراً نقول لهؤلاء المعترضين إن العهد القديم ، الذين يحاكمون القرآن إليه ، قد تناسوا ، فيما تزعمون ، بأن العذراء ستلد لله ابناً ( هو المسيح كما قبل ) ونعده « عمانوئيل » ( ٧٥ ) . فهل سقى المسيح يوماً من قبل أى إنسان بهذا الاسم ؟ إنه لم يحدث قط أن دعت أمه أو غير أمه إلا بـ « يسوع » ( « عيسى » فى العربية ) . بل إن كاتب « إنجيل متى » بكذب ما جاء فى « إشعيا » عن تسميته عليه السلام بـ « عمانوئيل » . إذ يقول ما نصه عن مريم وحملها بعيسى : « فستلد ابناً وتدعى اسمه يسوع » ( ٧٦ ) . بل إن حبريل عليه السلام نفسه ، حينما جاء فى لوقا ( ١ / ٣١ ) ، يبتهرها بولادة عيسى قائلاً : « وحانت تحلين وتلدن ابناً وتسميته يسوع » والظريف أن متى يعود فيقول عقيب ما ينادى عنه أننا : « هذا كله لكى يتم ما قبل من الرب بالنسبة القائل هو ذا العذراء تحمل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل الذى تفسره الله معنا » ، غير واجد أى تناقض بين ما قاله أولاً وما قاله لاحقاً ، مما يدل على أن الذين وضعوا هذه الكتب لم يكونوا يتمتعون بالحس النقدى . ونعود فنؤكد أنه مع ذلك لم يحدث فى هذا الإنجيل ولا فى أى من الأناجيل الأخرى التى يندسها

النصارى أن سادت مريم أو أحمد غيرها عيسى عليه السلام في أي وقت  
بـ « عماونيل » . فهل صار آل المعترضون بصرون على تخطئتهم للقرآن  
الكريم ؟

فهذا عن اسم « هامان » . اما استبعاد المعترضين أن يكون  
فرعون قد فكر في بناء صرح للاطلاع الى إله موسى كما جاء في  
القرآن (٧٧) وقولهم إنه إن كان حادثة لوجود الله فما معنى بناء  
صرح سادام الله غير موجود في اعتقاده ؟ والرد أنه لجهله كان يظن  
أن نعد السماء عن الارض لا يزيه عن ارتفاع صرح من الصروح ، وأنه  
ماستطاعته البرهنة على عدم وجود الله بصعوده في ذلك الصرح  
والنحقيق نفسه من ذلك . وقد سمعنا في عصرنا هذا ، وهو عصر  
التقدم العلمي الجبار ، ما قاله حاحازين أول راند فضاء روسي عند  
رجوعه من رحلته في سفينة الفضاء من أنه لم يجد الله في السماء .  
بريد أن يقول إن الإلحاد ، الذي كان عقيدة بلادته في ذلك الوقت ، هو  
الدين الصحيح . فلماذا تستغرب من فرعون ، في تلك الأزمنة المتقدمة  
من التاريخ حيث لم يكن العلم قد قطع شينا من هذه الخطوات الجبارة  
التي أنجزها في عصرنا ، أن يفكر على هذا النحو ؟ ويرى عند الله  
يوسف على أن فرعون اما كان يقصد السحرية بموسى والدين الذي

يدعو إليه (٧٨) .

هذا إن كان فرعون حادًا ، أما إن كان مؤمنا مشتبها فإن قول  
المعتريين إنه كان ولا شك يعلم أنّ ليس في طاقة بني آدم أن يشوا  
سنيانا يخرق السماوات السبع والأجزاء التي بينها حتى يحاذي عرش  
الله هو قول عجيب ، إذ من أين لفرعون أن يعرف أن ثمة سبع  
سماوات وأن العرش فوقها ؟ إن حاحارين في عصرنا لم يكن يعرف شيئًا  
من ذلك ، وإلا لما قال تولته التي ذكرنا قبل قليل . وليس في العهد  
القديم ولا الجديد ما يدل على أن السماوات سبع . إما ذلك في القرآن  
الكريم ، وهو لم يكن قد نزل من السماء على عهد فرعون بطبيعة  
الحوال . وإذا كان العهد القديم ، الذي يستند إليه أولئك المعتريون ،  
قد تكرّر اظهاره لله على الأرض تحت بصر هذا الشخص أو تلك  
الجماعة ، فما وجه العزّة في أن يظن فرعون ، لو كان مؤمنا ما  
للتشبيه ، أن باستطاعته رؤية الله إذا صعد الصرح وأشرف على  
السماء ؟

إن موسى نفسه حله السلام فدّ سال ربه ، حسنا ها ، في  
العهد القديم ، قائلا : « أرى مجدك » ، فأجابه الله تعالى : « لا  
تقدر أن ترى وجهي ، لأنّ الانسان لا يراى ويعيش » (٧٩) . وقد

جاء في القرآن الكريم عن موسى قوله بساجي ربه : « وَبَ . أَرَأَيْ  
 أَنْظُرَ إِلَيْكَ » ، فيأتيه الرد الإلهي : « لَنْ تَرَانِي ، وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى  
 الْجَبَلِ فَإِنَّ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي . فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلجَبَلِ جَعَلَهُ  
 دُخَانًا فَحَرَّ مُوسَى صَعَقًا . فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ : سَحَابُكُمْ ! تَبَّتْ إِلَيْكَ ، وَأَنَا  
 أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ » (٨٠) . ثم ألا يقول النصارى إن الله قد تجسّد في  
 هيئة بشرية ونزل من عليّانه وأصبح بجسّد في هذا المكان أو ذاك ونخلو  
 منه سائر الأمكنة بلّ ويأكل ويشرب ويتغوط وينسول وينام ويتعب  
 ويبغى ويسب ؟ وقد طلب المشركون من النبي على سبيل التحدى أن  
 يروا ربه فقالوا : « لَوْلا أَنْزَلَ عَلَيْنَا المَلَأَكَةَ أَوْ تَرَى رَمْنَا » (٨١) .  
 فهل سيكذب أولئك المعارضون بهذا كلّهم ؟ أليس هذا هو أقلّ القليل  
 بشبه ما جاء في القرآن من قول فرعون إنه يريد أن يُبَيِّنَ له صرح  
 لعله يبلغ الأسباب فيطلع إلى اله موسى ، وإن كان انتهيه عليه السلام  
 مع ذلك بالكذب ؟

أما قول المعارضين إن فرعون إن كان كافراً فإنه لم يكن محنوا  
 حتى يقول ما قال عن الصرح والاضلاع إلى الله ، فإنه يدل على عدم  
 الفهم الصحيح للطبيعة البشرية ، وخاصة نسبة الطعنة الحبارير . إن  
 كثيراً من هؤلاء قد ادّعوا لأنفسهم الألوهية ، ومن لم يدع منهم ذلك

كان بتصرف كأنه إله لا بخطى، ولا يصح أن يعترض عليه معترض  
 وكثيرا ما أورد هذا الصنف من الحكام بلاده وشعوبه موارد الهلاك  
 والدمار فدخلوا في حروب لم يستعدوا لها فهزموا هزائم مروعة وأففروا  
 أصمهم وأذلوا إذلالاً لا يحطر على بال . وعصرنا الحديث شاهد على  
 عدد لا بأس به من هؤلاء الجلاديين . فأين كانت عقول هؤلاء حينما  
 أتوا هذه الأفعال المحسنة ؟ وقد فرأنا كيف أن معص الصراط الدين  
 يتولون تعذيب المساجين المتديسين في بلد مسلم كانوا يقولون لهم أنهم  
 قد حبسوا الله في الزنزانة المحاورة ! يريدون أن يفهموهم أن أحدا لا  
 يستطيع أن ينقذهم من أيديهم وليس أمامهم إلا اليأس والاستسلام  
 المطلق . فهل من الغريب بعد ذلك أن يقول فرعون ما قال وهو الذي  
 كان يزعم أنه إله ؟

## الهوامش

- ١- انظر : وسائل الجامع ١١ / ٢ / ٣٠٤ - ٣٠٥
- 2 - F. J. Brill's First Encyclopaedia of Islam, Vol. III, p. 245
- 3 - Encyclopaedia of Islam, New Edition, Vol. III, p. 110
- 4 - Thomas Patrick Hughes, Dictionary of Islam, p. 160
- ٥- انظر د. عبد الحليل شليبي / رد مصريات على الإسلام / ١٥٨
- ٦- د. أحمد شلبي / اليهودية / ٢٤٤
- ٧- عبد الحليل شليبي / رد مصريات على الإسلام / ١٥٩
- ٨- السابق / ١٥٩ - ١٦٠
- ٩- ولي دميرانت / قصة الحضارة / ترجمة محمد بدوي / ٢٨ وقد عبرت كلمة « موردكي » ( التي وردت في النص هـ ، إلى « موردحاي » ( الموجودة في ترجمة العهد القديم ١
- ١٠- نكوي / ٤٦ / ٨ - ١١ / ١٩ وما بعدها ، وحروج / ١ / ١ - ١
- ١١- ١ / ١٥ - ٢١ ، ٧ / ٧
- ١٢- حروج / ١٢ / ٤١ - ٤٢
- ١٣- باع يوسف أخوته وهو ابن ١٧ سنة لرحل من ممدار باعه بدوره لأحد المصريين ( نكوي / ٢٧ / ٢ ) ، وجعله فرعون على حراش الأرض وعمره ٢٠ سنة ( نكوي / ٤١ / ٢٠ ) ويقصد إلى ذلك سبع سنوات الحصب ، وسنار من سبع سنوات الجذب ( نكوي / ٤١ / ٤٧ ، و ٤٥ / ٤ - ١١ )
- ١٤- ابن حزم / الفصل في المثل والأخوة ، وشغل / ١ / ٢٥٢ - ٢٥٣
- ١٥- نكوي / ٤٦ / ٤٦ - ٤٧ كعب ثمر ، في موضع آخر ( حروج / ١ / ١ - ١ ) أنهم سبعون

- ١٥- اضطر ابن حرم / الفصل / ١ / ٢٤٢
- ١٦- نكوبس / ٤٦ / ٣٤ ، و ٤٧ / ٦ ، وخروج / ٨ / ٢٢ . ويذكر ابن حرم ،  
 ساء على الفريضة التي كان يعقل منها ، انها فوس ( الفصل / ١ / ٢٥١ ، ٢٥٢ )
- ١٧- نكوبس / ٤٧ / ١١ ، وخروج / ١٢ / ٣٧
- ١٨- نكوبس / ٣٥ / ٢٢
- ١٩- خروج / ٢ / ٢ - ٤ .
- ٢٠- خروج / ٢ / ١٠
- ٢١- طه / ٣٨ - ٣٩ ، والنقص / ٧ .
- ٢٢- خروج / ٢ / ١٨
- ٢٣- خروج / ٣ / ١ . وانظر كذلك نفس السفر / ٤ / ١٨ ، و ١٨ / ١ .
- ٢٤- عدد / ٦٠ / ٢٩ ، وقصاة / ٤ / ١١
- ٢٥- خروج / ٣ / ١٢ - ١٥ .
- ٢٦- خروج / ٤ / ١١ - ١٤
- ٢٧- الأتعام / ٨٤ - ٨٩ ، وصيه / ٥٣ ، وطه / ٢٩ - ٣٢ ، والنقص /
- ٢٨- خروج / ٤ / ١٦
- ٢٩- خروج / ٧ / ١
- ٣٠- خروج / ٢ / ١٨
- ٣١- خروج / ٥ / ١ . وانظر كذلك نفس السفر / ٦ / ٢٦ - ٢٧ .
- ٣٢- خروج / ٤ / ٢٠



٢٢- خروج / ٧ / ٩

٢٣- خروج / ٧ / ١٤ - ١٩

٢٤- خروج / ١ / ٩ .

٢٦- خروج / ٧

٢٧- خروج / ١ - ٤

٢٨- خروج / ٦ / ٢٠ ، وعدد / ٢٦ / ٥٩

٢٩- خروج / ١٥ / ٥ ، ١٠ .

٤٠- محمد / ٩ / ٩ - ١٠

٤١- خروج / ١٥ / ٥ ، ١٠ .

٤٢- طه / ٧٨

٤٣- يسحر ول ديورانت من ذلك قائلا إن إله اليهود « حبيب » لا يسمح للناس

أن يروا منه إلا ظهراً « ( قصة العنبرة / ترجمة محمد إدراي / ٢ / ٢٤٠ ) .

٤٤- خروج / ٢٣ / ١١

٤٥- خروج / ٢٤ / ٩ - ١١ .

٤٦- المنزلة / ٥٥ ، والأعراف / ١٤٣ .

٤٧- خروج / ٢٢ / ١ - ٦ ، ١٧ ، ٢٤ ، ٢٤

٤٨- طه / ٨٣ - ١٧ ، والأعراف / ١٤٨ - ١٥٢

٤٩- خروج / ٢٠ / ٢ - ٤ ، وثنية / ٥ / ٧ - ٩

٥٠- خروج / ٢٠ - ٢٢

٥١- خروج / ٢٢ / ٢٧ - ٢٩

٥٢- خروج / ٢٢ / ٢١ - ٢٤ ، وعدد / ١٨ / ١ - ٧

53- S. A. A. Mauchuli , The Meaning of the Qur'an , translated by

- ٥٤- خروج / ٢٠ / ٥ و ٣٤ / ٧ . وثيقة / ٥ / ١٠ .
- ٥٥- خروج / ٣٤ / ٧ .
- ٥٦- عدد / ١٢ / ١ - ١٠ .
- ٥٧- خروج / ٣٢ / ١١ - ١٤ . ويعلق ول ديورانت على إسهاد العهد القديم « الحمد » إلى الله تعالى قائلا : « كذلك لا يرى ( الله ) أنه معصوم من الخطأ . ويرى أن أئسح ما وقع منه من الأخطاء هو خلق الإنسان . ولذلك نراه يتدم بعد فوات الفرصة على خلق آدم وعلى ارتسائه أن يكون شاول ملكا » ( قصة الحضارة / ترجمة محمد بدراز / ٢ / ٣٤٠ ) .
- ٥٨- عدد / ٣٢ / ١٨ - ١٩ .
- ٥٩- انظر د . عبدالحليل شلي / رد مفتريات على الإسلام / ١٥٨ .
- ٦٠- انظر محمد عزز دروز / تاريخ بني إسرائيل من سفارحه / ٢٨١ . وتلمح محمد حميد الله في ترجمته الفرنسية للقرآن الكريم إلى مثل هذا الرأي . إذ يقول إن اسم « هامان » بدكرنا « آسون » Samt تد ( Muhammad Hamidullah ) . ( Quran , 1973 , p. 512 ) .
- ٦١- انظر رموف ابو سعده / من إعجاز القرآن - نعله الأعجمي في القرآن مشر بالقرآن / ٢ / ٥٨ - ٦٠ .
- ٦٢- أنصار الأبيام الثاني / الأمجاد ٢٣ - ٣٤ .
- ٦٣- رسائل الخاضع / ٣ / ٣١٧ .
- ٦٤- انظر د . محمد رعلول سلا / الأدب في العصر المملوكي / ١ / ١٨٦ .

٦٦ - رؤيا يوحنا اللاهوتي / ١٦ / ١٩ ، و ١٧ ، ٦ ، و ١٨ ، ١٠ ، ٢٢ .

٦٧ - تكميل ، ١١ / ١ - ٩ .

68 - Maududi - The Meaning of the Quran , Vol. IX , p. 74 .

69 - Thomas Patrick Hughes , Dictionary of Islam , p. 160 .

٧٠ - عدد / ١٦ / ١ - ٢٥ .

٧١ - النصي / ٧٦ - ٧٩ .

٧٢ - عدد / الأحياء / ١١ - ٢٤ .

73 - E. J. Brill's First Encyclopaedia of Islam , Vol. II , p. 295 .

74 - Ibid . p. 345 .

٧٥ - إشعاع / ٧ / ١٤ ، و ٩ / ٦ - ٧ ، ومن الطير القدسية أن العدد .

حده . ولدت عيسى عليه السلام كانت تقول له إن نازع يوسف النجار ، وبالمثل يجعله  
يقا انما له ( ثوبا / ٢ / ٤٦ - ٤٨ ) ، وكذلك متى في ذكر اسمه عليه السلام في متى .

٩ - ١٧ ، وحده كله اصطراط وحفظ شيع ، وخلاوة على ذلك فمتى ولوفا ، ووه .

لندن اوردا سلسلة نسب المسيح ، مختلفان حور عدد التسلسلة وعدد الأحياء التي

تعمل سه وبين حده داود ، فهل هي واحد وأربعين جيلا ، ستة وعشرين جيلا فقط ؟

كذلك فهل يوسف النجار ، الذي يقول متى ولوفا إنه نوه ، هم من مآلى ؟ أم هل هو ابن

عقوب ؟ وعن طريق أى من أساء داود ينسب المسيح إلى ذلك التي عليهما السلام ، ؟

نفس طريق سليمان أم عن طريق أخيه مائار ؟ .. أيج ، أيج ، وبمئساسة ثاب داود .

حسب رواية العهد القديم ، هو حفيد لوط ثم ليهودى من يعقوب عن طريق رضى اللاؤ .

« منه ورثى الناسى بروجية انه ثامارا » فإذا كان المسيح حفيدا لداود فباله من نسب ؟

ويحذر بالدكر أنه في الوقت الذى يجعل هذا الكائنات المسيح عليه السلام ، هي سلسلة

نسب اللين ذكرها ، انما ليوسف النجار ولا ينسبانه إلى الله على أى نحو ، بعد لوط

يجعل حده النسوة الإلهية لأدم عليه السلام

٧٦- متى / ١ / ٢١

٧٧- القصص / ٢٨ ، وعافى / ٢٧ ،

78 - A. Yusuf Ali , The Holy Quran , pp. 1013 , 1273 .

٧٩- خروج / ٢٢ / ١٨ - ٢٠ ،

٨٠- الأعراف / ١٤٢ كما ذكر القرآن الكريم أن متى إسرائيل قالوا لتبيهم

« أربا الله جهرة » فأخذتهم الساعة ( البقرة / ٥٥ ، والنساء / ١٥٣ )

٨١- المرقى / ٢٦ .

## ٥ - يحيى

كما شُئِنَ التصارى على ما أخبر به القرآن الكريم من أن الله سبحانه قال لزكريا عند تبشيره بولادة يحيى : « يا زكريا ، إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى ، لم نجعل له من قبل سميا » (١) ، مؤكداً أنه كان هناك قبله أكثر من واحد اسمه « يحيى » ، مثل يوحنا بن قارح (٢) . وقد جاء في ترجمة لودفيج ألمان الألمانية للقرآن ، تعليقا على هذه الآية ، أنه كان قبل يحيى أشخاص عدة يعملون اسم « يوحنا » (٣) .

وهذا التنسيع يقوم على أن كلمة « سمى » تعنى بالضرورة « من كان له نفس الاسم » ، إذ قد فهموا من الآية أن أحدا قبل الغلام الذى وهبه الله لزكريا لم يسم باسم « يحيى » . والحق أن هذا ليس إلا أحد معانى الكلمة على ما ورد فى معاجم اللغة وكتب التفسير ( والمعانى الأخرى هى : « المفاخر » و « المنظير » و « السامى » ) . ويمكن أن يريد التحقق مما نقول أن يرجع إلى القواميس اللغوية ، وأمامه عدة منها وضعها مؤلفون نصارى يستطيع أن ينظر فيها مثل « محيط المحيط » للمبشاشى ، و « المنجد »

للبسوعيين ، و « الرائد » لجبران مسعود .

وقد صنف المفسرون « سمينا » فى الآية الكريمة بما يفيد أن يحيى عليه السلام لا يساميه أو يشبهه أحد ، أو أن أحدا قبله لم يسم باسمه . من الممكن جدا إذن أن يكون المعنى هو أنه لم يحيى قبل يحيى أى نظير له . وقد جاء فى « منى » على لسان عيسى عليه السلام : « الحق أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان » (٤) . وهو تقريبا نفس ما كتبه لوقا فى إنجيله على لسان عيسى أيضا : « لأنى أقول لكم إنه بين المولودين من النساء ليس سى أعظم من يوحنا المعمدان » (٥) . فإن أرادوا أن ينكروا على القرآن قوله عن يحيى عليه السلام : « لم نجعل له من قبل سمينا » فليذكروا ذلك أيضا على أجيالهم . وأنى لهم ذلك ؟ على أن القرآن بخلاف من تناقض إنجيل متى ، الذى بعد أن قال إنه لم يحيى قبل يحيى عليه السلام من هو أفضل منه عاد فاضاف العبارة الآتية : « ولكن الأصغر فى ملكوت السماوات أفضل منه » ، وهو ما دفع ابن حزم إلى التعليق قائلا : « تأملوا هذا الفصل نروا مصيبة الدهر فيه وفرة عيوب الأعداء وقولا لا يمكن أن يقوله ولا يطق به صبي برزجى فلاحه ولا أمه وكفا ، إلا أن تكون مدحوله العفل : أثبت أنه لم

يولد في الأدميس أثرو من يحيى . وإذا كان كما زعمه أن الصغير  
 في ملكوت السماء أكبر من يحيى . فكل مؤمن يدخل ملكوت  
 السماء ضرورة فهو أفضل من يحيى . فوجب من هذا أن كل مؤمن  
 من بني آدم فهو أفضل من يحيى . وأن يحيى أرذل وأصغر من كل  
 مؤمن . فما هذا الهوس ؟ وما هذا الكذب ؟ وما هذه العبارة السمحة  
 في الدين ؟ وكه هذا النفاق ؟ والله ما قال المسيح قط نبنا من  
 هذه الرعوثة ، وما قالها إلا الكذاب متى ونظراؤه ، عليهم اللعنة !  
 فلقد كانوا في غاية الوقاحة والاستخفاف بالدين » (٦٦)

ومع هذا فقد ورد في الإنجيل المنسوب إلى لوقا : « وأما  
 اليصابات ( زوجة زكريا ) فتم زمانها لنلد فولدت ابنا . وسمع حيرانها  
 وأقرباؤها أن الرب عظم رحمته لها فدخلوا معها . وفي اليوم التالي  
 جاءوا ليحتموا الصبي وسود باسم أبيه زكريا . فاجابت امه وقالت لا  
 بل يسمى يوحنا . فقالوا لها لبي أحد في عتيرتك تسمى بهذا  
 الاسم . ثم أرمأوا إلى أبيه ماذا يريد أن يسمى . فطلب لوقا وكتب  
 قائلا اسمه يوحنا . فتعجب الجميع » (٧)

ويمكن أيضا أن نفسر الآية القرآنية بهذا المعنى . ولكن قد يقال  
 إن القرآن قد أطلق القول حين أخبر أن أحدا قبل يحيى لم

باسمه ، على حين أن لوقا قد حصر ذلك في عشيرة أليصابات . إلا أن من الجائز جداً أن يكون ذلك هو قصد الفران يسا ، فقد جاءت هذه البسرة اثر اتيال وكربا لونه قانلاً « رب ، اسي وهن العظمه منى واشتعل الرأس شيبا ، ولم اكن يدعائك رب شنباً » وإسى حنناً الموالى من ووائى ، وكانت امرأتى عاقراً ، فهى من لذك ولنا « برشى ويرث من آل يعقوب ، واحعله وبّ رصبها » ( ٨ ) . وواصح أن الكلام يدور حول عشيرة ذكرىا ، وهى نفسها عشيرة زوجته ، فمن الممكن أن يكون المعنى : « لم يجعل له من قبل ( يس عشيرتك ) سمياً » . وهذا إن صح أن أحداً قبل يحيى خارج عشيرته قد سنى باسمه ( ٩ ) . لقد أشار المعترضون الذين أورد الحاحط كلامهم إلى أنه كان يوجد نسله عليه السلام من اسمه يحيى ، ثم مثلاً « يوحنا بن فارح » .

ولنا على ذلك عدد ملاحظات : أولاً أن القرآن قال انه لم يكن هناك قبله عليه السلام من اسمه « يحيى » ، اما اولئك المعترضون فقد ذكروا « يوحنا ( بن فارح ) » . فهل قصد الفران « يوحنا » أو « يحيى » ؟ إذا وقفنا عند ظاهر النص على الأفل فالفران قد قال « يحيى » ولم يقل « يوحنا » و « يحيى » مشتق من الحياة أو



الحيا ، أما « يوحنا » فيقولون إنه يعنى فى العبرية « كان يهود كريما » ( ١٠ ) ، وهذا غير ذاك . شايأ : الشخص الذى ذكره المعترضون لم يكن اسمه « يوحنا ( بن قارح ) » بل « يوحنا ... » ( ١١ ) . قد يقال إن « يوحنا » هو اختصار لـ « يوحنا » ( ١٢ ) . لكننا ، إن تعاضينا عن الفرق بين « يحيى » و « يوحنا » وقبلنا أن القرآن قد قصد « يوحنا » ، نستطيع أن نرد بأن المقصود هو أن أحداً قبله عليه السلام لم يشتم بهذه الصيغة الاختصارية لا بالصيغة الكاملة . وذلك كما نقول إن أحداً قبل هذا الطفل لم يشتم بـ « نكثل » ، فلا يجوز أن يعترض معترض بأن كثيرين من قبله قد سموا بـ « نبيل » ، لأنه وإن كانت « نبل » هى صيغة التثنية لـ « نبل » فإنها مع ذلك ليست إياه . ولكن قد يقال إن اسم « يوحنا » ( بهذه الصيغة الاختصارية ) قد ورد فى سلسلة نسب المسيح حسبما أوردها لوقا ( ٣ / ٢٣ - ٢٨ ) إلا أننا ينبغي أن نكون على ذكر من أن المسيح ، فى هذه السلسلة وكذلك فى السلسلة التى أوردها متى ( ١ / ١ - ١٧ ) ، هو ابن يوسف النجار ( ١٣ ) . وهذا كذب صراح ، ولا يقبله لا الصارى ولا المسلمون ولا اليهود : فأما المسلمون فلأنهم يزعمون أنه عليه السلام قد ولد دون

أب ، وأما النصارى ( أقصد جمهورهم ، وهم المثلثون ) فهم يزعمون أنه ابن الله ، بينما يقول اليهود إن مريم قد حملت به سفاحاً من أحد حوّد الرومان على ما هو معروف (١٤) . كذلك فإن يوحنا هذا لم يرد له ذكر في السلسلة التي ساقها متى . وفضلاً عن ذلك فإن في أحد الأناجيل التي ترفضها الكنيسة أن مريم لم تكن محطومة ليوسف النجار ولا لغيره ، وإنما كانت معنكة في المعبد لعبادة الله (١٥) ، مما يتفق مع ما جاء في القرآن من أن أمها حين حملت بها قالت : « رب ، ائني بذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني ، إنك أنت السميع العليم » ، وأن مريم بعد أن شئت كانت تلزم المحراب حيث كان زوجها كلما دخل عليها وجد لديها رزقاً من عند الله (١٦) ، ومن ثم فلا معنى للربط بين المسيح عليه السلام ويوسف النجار على أي وجه من الوجوه . أي أن السلسلة المذكورة في « مني » و « لوقا » لا نبعت أبداً على الاطمئنان ، فكيف نشق إذن بأنه كان بين أباء يوسف النجار من اسمه يوحنا ، وبخاصة أن يوحنا هذا ( كما أوضحنا قبيل قليل ) لا وجود له في سلسلة متى ؟

ثالثاً : أنه حتى لو ثبت فعلاً أنه قبل يحيى عليه السلام كان هناك من اسمه يوحنا ، فبمكي القول إن المراد أن أحداً من الانبياء

السابقين عليه لم يتسم باسمه (١٧) ، على أساس أن يحيى لم يكن شخصا عاديا ، بل كان نبيا .

ورابعا : من الممكن جدا أن يكون المقصود أن أحدا قبله عليه السلام ممن كان اسمه « يوحنا » ( أو حتى « يوحنان » ) لم يتحول اسمه إلى « يحيى » ، إنما كان يحيى عليه السلام هو أول من حدث لاسمه ذلك .

وهذا كله على أساس أن « يوحنا » الذى سُمى به ذلك النبى الكريم هو « يوحنا » الذى يتسفى به غيره . بيد أن أحد الباحثين العارفين بالعبرية والمطلعين على ترجمات الكتاب المقدس بهذه اللغة وغيرها يقرّر أن يحيى عليه السلام لم يكن اسمه « يوحنا » ( بالالف ) بل « يوحنا » ( بالإمالة ) ، وأن هذا الأخير مكون من كلمتين : « يو » ( أى الله ) و « حنى » ( بمعنى « أخصر » ) ، ومعناه : « الله أخصر » ، وهو ما أشار إليه القرآن الكريم حين وصف النبى يحيى بأنه كان « حصورا » ، والمقصود بذلك أنه كان بكف نفسه عن شهوة النساء مع وجود القدرة وهو من ثم يرى أن « يحيى » مشتق من الحياء ( أى أنه كان يستحي من التطلع إلى النساء ) كما يؤكد أن كتيبة الأنجيل عندما

أشتوا « يوحنا » سألّف إسماء كانوا يحثّون ، ولكنهم أخطأوا في اجتهداهم (١٨) .

ومن هذا كله نرى أنه لا معنى لاعتراض النصارى على الآية . وتكون الآية قد صيغت بهذه الطريقة الفظة لتعنى الأمرين جميعاً : أن يحيى لم يكن له من قبل نظير ، وأنه لم يتسم أحد باسمه ( إسماء باطلات ، وإسماء من عشيرته ، وإسماء من الأنبياء ، وإسماء أن أحداً من السامعين عليه ممن كان اسمهم « يوحنا » لم يتحول اسمه في العربية إلى « يحيى » ) .

وينبغي ألا يفوتنا أن هذه الآية قد قرئت ، ضمن صدر سورة « مريم » ، على النجاشي وبطريقه عندما سأل ملك الحبشة ، رحمه الله ، الصحابة الذين فروا إلى ملاده من اضطهاد قريش عما يقوله القرآن في حق عيسى عليه السلام ، ولم تكن الآية محل دهشة أو استعراب من أيهم (١٩) ، ودعنا من ملايين النصارى الذين أسلموا بعد ذلك ولا يزالون .

## الهوامش

١- مريم ٧

٢- اطر « رسائل للحافظ » / ٣ / ٣٠٥ . والملاحظ أنه لا يوجد للحافظ رد على حد الاعتراض في الرسالة التي بين أيدينا .

٣- Ludwig Ullman . Der Koran . Das heilige Buch des Islam . S. 249 , n. 4.

٤- مري ١١ / ١١

٥- لوقا ٧ / ٢٨ .

٦- امر حرم . الفصل في الخلل والأهواء والنحل / ٢ / ٦٩

٧- لوقا ٩ / ٥٧ - ٦٢

٨- مريم ٤ - ٦

٩- يرى صلاح المعماوي أن الإشارة في إنجيل لوقا إلى أن أحداً في عشرة أليصابات لم يسم من قبل باسمه « يعقوب » إنما هي منقولة من القرآن الكريم . ومحتة . أنها لم ترد في الأناجيل الأخرى . انظر كتابه « جوهر الإيمان في صحيح الأديب » . أهل الكتاب « ٢ / ٣٩ ، ٤٩ . لكنه لم يبين لنا كيف حدث هذا النقل ولا متى . ثم إن هذه نكت التفصلة الوحيدة التي يتعمد بإيرادها أحد الأناجيل دون غيره . كذلك فقد تكون هذه الإشارة موجودة في واحد أو أكثر من الأناجيل التي حاربتها الكنيسة ودمرتها .» حقتها

10- Basil Conle , The Penguin Dictionary of Surnames . art . Ishn . and Abdullah Yusuf Ali . The Holy Quran . 768 , n. 2461.

١١- ورد ذكر هذا الرجل في الأبيات الأولى / ١٢ / ١٢ . وانطوى الناس /

١٢ / ٢٢ ، وازيد ٤٠ / ٨ ، و ٤١ / ١١ ، و ٤٢ / ٦ . واسمه كما ورد عند

الحافظ . هو يوسف بن عمر رَوَّاهُ أَنَّهَا نَصَحَتْ

12 The Oxford English Dictionary . on John .

١٢- في تعليق محفني كتاب « الفصل » على قول ابن حزم : « منى الكذاب

يسب المسيح إلى يوسف النجار » ( ٢ / ٢٢ ) راجعا بنولان . « رابع إنجيل متى / الإصحاح الأول . وفيه » أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا . لما كانت مريم له مخطوبة ليوسف فل أن ينجسها وحدث حيلي من روح القدس . فبوسف رجلها إذ كان باراً ولم يشأ أن يهونها أراد نجلها سرا . ولكن لما هو متفكر في هذه الأمور إذا ملاك الرب قد ظهر له في حلم قائلا يا يوسف بن داود . لا تحف أن تأخذ مريم امرأتك . لأن الذي حبل به فيها هو من الروح القدس . ( إلخ » ( الفقرات من ١٨ - ٢٤ ) وهذا يخالف ما مرره ابن حزم ( بفسدان قوله إن منى قد نسب المسيح عليه السلام إلى يوسف النجار ) . فعمل الإنجيل قد تعرض لتفسير وتديل آخر « ( الفصل / ٢ / ٢٢ ح ١٠٩ ) . والحقبة أنه لا خلاف بين ما قاله ابن حزم وبين ما جاء في منى . الذي ورد في أول إنجيله سلسلة نسب المسيح . وفيه أنه عليه السلام ابن يوسف ( انظر سلسلة النسب المذكورة في أول « منى » ) وقد أورد ابن حزم وعلق عليها في كتبه ( ٢ / ٢٧ - ٢٩ ، ٢٣ ) . أما قول منى غضب ذلك إن مريم قد حبلت بحسي من الروح القدس فهو تكذيب سلسلة النسب المشار إليها . لأن منى يناقض نفسه ويتكذب نفسه نفسه . وفي أسطر معدودات . ولكن هذه مسألة أخرى وباتفاقية فقد جاء من الروح القدس في أمرة الأولى في النص المذكور عن منى هكذا : « روح القدس » وهو سهو . إذ إنه هناك « أرواح القدس » « روح القدس » بدون « ال » فهو اسمه عبد المسلمين

١٤- انظر ول ديورانت / قصة الحضارة / ترجمة محمد بدوان / ١١ / ٢١٤ .

وإلى كثير / البدايات ونهايات / ٢ / ١٨ ، ٧٠ ، ٧٣

- ١٥- الإنجيل المشار إليه هو إنجيل متى غير المصنف عند النصارى ، وهو غير إنجيل متى المقبول عندهم والموجود في العهد الجديد . انظر د علي عبدالرحمن وافي / الأسفار المقدسة في الأدبيات السابقة للإسلام / ٩٤ - ٩٥
- ١٦- آل عمراؤ / ٣٥ - ٣٦ .
- ١٧- وقد أشار إلى هذا المرحوم عبد الله بروس على أيضا في ترجمته للقرآن إلى الإنجليزية ( ص ٧٦٨ / هـ ٢٤٦١ )
- ١٨- انظر رءوف أبو سعدة / من إعداد القرآن - العلم الأعجبي في التفسير مفسرا بالقرآن / ٧ / ٢٣٤ - ٢٣٨
- ١٩- انظر سيرة اس هشام / ١ / ٣٣٦ - ٣٣٧

## ٦- نبوة النساء

وذكر الجاحظ أبصاً أن مما اعترضت به الصاري على القرآن قوله إن الله يحاطب النبي قائلاً : « وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم ، فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » (١) ، بما يفيد أن الأنبياء لا يكونون ساء ، على حين أن أهل الذكر ( أى أهل الكتاب ) ، الذين أمر الله العرب أن يسألوهم في هذه المسألة ، يقولون إن الله قد بعث من النساء نبيات ، مثل مريم ابنة عمران وحنّة وسارة ورفقة (٢)

والواقع أن معنى الكلام في الآية هو أنه لم يحدث أن أرسل الله للناس رسولا إلا وكان بشرا مثلهم ، فلم يحدث أن أرسل ملكا ، ذلك أن الكفار كانوا ينعنون ويتظاهرون بالهجنة من أن الله قد بعث إليهم معصدا وهو بشر يأكل الطعام ويمشي في الأسواق (٣) ، وكانوا يقولون : « هل هذا إلا بشر مثلكم ؟ » (٤) ، كما طلبوا منه مرارا أن يرسل عليه أو معه ملك (٥) وقد كانت تلك هي نعلات كفار الاصم السامية النى يتعللون بها ضد الأنبياء المرسلين إليهم ، كما هو واضح من الآيات الترتيبية المتعددة (٦) : يكن اعتراض كفار قريش أن على الله سبحانه أن يرسل رجلا يؤول أمرنا ، والى كل



اعتراضهم على بشرية الرسول ، فكان رد القرآن في الآية التي استشهد  
بها المعارضون من النصارى هو أن الرسل الذين أرسلوا قتلوا يا رسول  
الله كانوا مثلك رجالاً ، أى يحرق عليهم ما يحرق على البشر ، فهم  
بأكلون ويموتون (٧)

ومع ذلك فقد يجب هؤلاء المعارضون من النصارى وأمثالهم بأن  
القرآن كان يستطيع أن يقول مثلاً : « وما أرسلنا قبلك الا بشرًا نوحى  
إليهم » بدلاً من كلمة « رجال » ، التي تدل على أن الرسل كانوا  
دائماً بشراً ذكوراً لا بشرًا فقط . لكن مات هؤلاء ، أن « الرجال »  
ليسموا بالضرورة هم الذكور من الناس فقط بل يشملون النساء  
أيضاً . ذلك ان المراد تسمى « رخله » ( مؤنث « رجل » ) .  
أى انه مثلما نقول : « امرؤ » و « امرأة » نقول : « رجل »  
و « رخله » (٨) ، فكلمة « الرجال » إذن هنا معناها « البشر »  
هكذا على أساس أن الله قد أرسل فعلاً رجالاً من السماء ، وهو ما  
سوف نناقشه بعد قليل .

فيس في وصف القرآن للرسل إذن بأنهم « رجال » ما بهوجه  
عديم . أما الشناعة في ان بوصف الله سبحانه في العهد القديم بأنه  
« إنسان » (٩) ، وأن يقال عن حبريل عليه السلام : « الرجل

ثم إن « أهل الذكر » المذكورين في القرآن هم أهل النوراة والإنجيل اللذين نزلوا من السماء على موسى وعيسى ، لا الكتب المسماة بالعهد القديم والعهد الجديد ، وهى الكتب التى ألّفت تأليفا وتجمّع بين ما نزل من السماء مما حُفظ عن موسى وعيسى عليهما السلام وبين ما أوحى به لمؤلفيها الشياطين . وأهل الذكر هؤلاء هم الذين دخل منهم الكثيرون فى الإسلام ولا يزالون يدخلون . وقد بين القرآن فى عدة مواضع منه أن أهل الكتاب قد زوّروا كتبهم وكتبوا أشياء من عند أنفسهم وقالوا إنها من عند الله ، فكان بنسبى على أولئك المعارضين أن يعوا هذا وأن يعرفوا أنه سبحانه وتعالى لا يمكن أبداً أن يقصد « أهل الذكر » هؤلاء الذين يؤمنون بتلك الكتب المزورة .

ومع ذلك فلننظر فى هذه الكتب لئرى ماذا تقول : فأما بالنسبة لسارة ، وهى أقدم النساء التى أشار إليهما المعارضون ، فإن سفر « التكوين » ، وهو السفر الذى توجد فيه قصتها حتى وإبراهيم وذريتهما ، لا يذكر أبداً أنها نبيّة أو رسولة ، ولا يشير إلى ذلك أدنى إشارة لا من قريب أو بعيد . وكذلك الحال بالنسبة لرفقة زوجة

ابنها إسحاق .

ومن بقرأ قصة إبراهيم وإسحاق وزوجتيهما حسبما جاءت في سفر « التكوين » يستعرب أشد الاستعراب من حراذ أولئك الذين يريدون أن يجعلوه هر وأمثاله من أسفار الكتاب المقدس محكًا للقرآن الكريم ، الذي لا يأنبه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وهذه بعض الملاحظات السريعة على تلك القصة ، وهي كفيلة بأن يفقد القارئ الثقة بالسفر كله وبالكتاب المقدس أجمع :

من هذه الملاحظات أن الله قد ظهر لإبراهيم وابنه إسحاق عليهما السلام عدة مرات وعاشا بعدها لم يحدث لهما شيء ، ( ١١ ) ، مع أن العهد القديم ، كما رأينا فيما سبق ، يقول إنه ما من أحد يرى الله ثم يعيش بعدها . وذلك كله بعض البصر عن أن الله سبحانه لا يمكن رؤيته في الدنيا .

ويجترى مؤلف السفر على الذات العلية فيقول إن الله سبحانه حينما سمع شدة صراح سدوم وعمورة بسبب كثرة خطاياهم قال : « ان صراح سدوم وعمورة قد كثر وخطيتهم قد عظمت جدا . أنزل وأرى هل فعلوا بالتمام حسب صراحها الآن إلى . وإلا فأعلم » ( ١٢ ) . وكان الله عز وجل لا يستطيع أن يتأكد من وقوع أى أمر إلا بعد أن يذهب

بنفسه ويشاهد بعينه ! فما الذي يبقى من الألوهية بعد هذا ؟ وما الفرق بينه وبيننا نحن البشر ؟

ويغفر الإنسان فاء دهشة مما بنسبه كاتب السفر إلى إبراهيم عليه السلام ، وهو النبي الكريم ، إذ يقول عنه إنه لما ذهب إلى مصر أوصى امرأته أن تنكر أنها زوجته ، حتى إذا حلت في عين فرعون أخذها دون أن يفكر في قتله (١٢) . وهي فعلة لا بأنيها إلا ديوث ، وحاشا لأنبياء الله المصطفين أن يفكروا فيها بله أن يقدموا عليها . ولم يحدث هذا مرة بل مرتين ، وكانت المرة الثانية مع أبيمالك ملك حرار (١٤) . ليس هذا فحسب ، فإن ابنه إسحاق عليه السلام ، على حسب ما جاء في هذا السفر أيضا ، قد كرّر ما صنعه أبوه من قتل ومع أبيمالك نفسه أيضا (١٥) . فكان الذبائح مما ورثه عن أبيه على حسب ما كتب القوم . أستغفر الله !

ويقول كاتب السفر إن الله قد أمر إبراهيم قائلا : « خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق واذهب إلى أرض المريا وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك » ( ١٦ ) ، رغم أن إبراهيم كان له آنذاك ولدان : إسماعيل وإسحاق ، بل إنه رزق بإسماعيل قبل إسحاق بسنوات ، أي أن إسحاق لم يكن وحيد أبيه يوما من الأيام . فهذه

كذبة شنعاء ، ويزيدها شناعة أن تُنسب إلى الله سبحانه .

والعجيب أن إبراهيم ، حينما يأمره الله بذلك ، لا يجد في الأمر ما يدعو إلى الاستغراب ، برغم أن الله كان قد بشره بأنه سيكون له من إسحاق هذا نسل (١٧) ، ولم يكن إسحاق حين أمر إبراهيم بذبحه إلا صبيا صغيرا لم يتزوج بعد . وكان ينبغي أن يسأل إبراهيم نفسه : كيف يأمرني الله بذبح ابنى قبل أن يتزوج وتكون لي منه ذرية حسما بشرني ؟

ويتناقص كاتب السفر في تفسيره لتسمية « بنر سبع » بهذا الاسم : فعزّة يقول إن إبراهيم كان قد أعطى أبيمالك سبع نعاج لكي تكون له شهادة بأنه حمر تلك البئر (١٨) ، ثم يعود بعد عدة صفحات فيقدم تفسيرا آخر محالفا لهذا كل المخالفة ، إذ قال إن عبيد إسحاق ( بعد أن كان إبراهيم عليه السلام قد انتقل إلى جوارحه برمس طويل ) جاءوا وأخبروه عن بنر حفروها ووجدوا فيها ماء ، فسقى هذه البئر « شبعة » ، ولذلك سميت المدينة باسم « بنر سبع » (١٩) ، أي على اسم البئر المذكورة .

وفي هذا السفر أيضا أن يعقوب ( من إسحاق ورفقة ) يشترط على الله لكي يومن به أن ينجيه من معاطب الطريق ويعيده إلى بيته

سألنا ويررثه المظعم والمفسر (٢٠) . فانظر إلى هذا الإيهام المشروط !  
وزيد الأمر عجا أن يُنسب ذلك إلى نبي ابن سبي ؟

وفيه أيضا أن الله قد تجلى له في الطريق فاشتبك معا في  
صراع طويل ومزير حتى طلوع الفجر وأن يعقوب قد أمسك به سبحانه  
إمساكة لم يستطع أن ينخلص منها إلا بعد أن جمع كل قوته وصره  
على حقّ محمّد بعزم اليانيس الذي لم يكن يصدق بالإنقاذ من  
غريمه (٢١)

ثم كيف تكون سيرة من تحفد على ابن ضرته كل ذلك الحقد  
الذي دفع سارة إلى أن تطلب من إبراهيم أن يطرد حاحر وابنها  
إسماعيل وبحرمه من الميراث ويجعله كله لابنها إسحاق ظلما وعدوانا ؟  
وقد كان لها ما أرادت (٢٢) .

أم كيف تكون سيرة من ترسم ، كما رسمت رغبة . لأحد ابنها  
خطة كذب وعدو وسفالة لبسرق لنفسه البركة التي كان أبوه سيعطيها  
لأخيه الأكبر فتنسب في حقد متأحج بين فلذتي كبدها لا يحبو مع  
الأيام ؟ (٢٣) إن هذه ليست أخلاق الأنبياء حتى لو كن من الجنس  
اللطيف ؟ ثم إنه لم يكن هناك أي سبب من شأنه أن يدفع تلك  
« النسبة » المزعومة أن تصنع ما صنعت . بل الأمر كله لا يعدو

يكون نزوة سخيفة حقاً ، لا يمكن أن تقع فيها أي أم عندها مسكة من عقل فضلاً عن بيّة !

فهذا عن النبوة المزعومة لسارة ورفقة ، ونأتى إلى مريم بنت عمران . ولست أظن أن المقصود أم المسيح عليه السلام ، فالتصاري لا يسمونها مريم بنت عمران ، بل يعترضون على القرآن لذلك ، فأنلبن إنه يحلظ بينها وبين مريم أخت موسى وهارون ، وإن اسم أبيها هو يواقيم ، فصلاً عن أنهم ، فيما نعرف ، لا يقولون نسوة مريم أم عيسى . إننا المقصود مريم أخت موسى وهارون عليهما السلام ، فأبوه هو عمران ( « عمران » هي اللمة العربية ) على ما مرّ بيانه . وقد وردت إشارة إلى نبوة مريم هدد في سفر « الخروج » من العهد القديم ، إذ جاء فيه النص التالي في سياق حكايته لفرع فرعون وحسوده في اليوم ونجاة بنى إسرائيل : « فأخذت مريم النية أخت هارون الثلاث بيدها . وخرحت جميع النساء ، وراها بدفوف ورفض واجاتهن مريم . رثما للرب فإنه قد نعظم . العرس وراكه طرحهما في البحر » ( ٢٤ ) . وهذا ، فيما أعرف ، هي الإشارة الوحيدة إلى سورتها في العهد القديم .

وإنه لعريب جد عريب ألا يذكر لتلك النية المدعاة عمل

إلا الدق على الدفّ لضبط الإيقاع للمراقصات ! ترى أهذه نبية أم « عالمة » رفاقة ؟ وأين با تَرى نحن ؟ أفنى ملهى ليلي أم فى حضرة أنبياء ؟ إن مكان هذه المرأة المناسب هو ثلاثية نجيب محفوظ لا كتاب بقول أتباعه إنه مقدس وموحى به من السماء !

ثم نلتقى مع مريم هذه ثانيةً فى سفر « العدد » . وليس الموقف الذى سنقابلها فيه أفضل كثيراً من سابقه . وإذا كانت فى الموقف الماضى تمسك بالدف لتوقع عليه لمجموعة الرافصات فإنها هنا تغتاب أخاها موسى وتحقد عليه : « وتكلمت مريم وهارون على موسى بسبب المرأة الكوشية التى اتخذها . لأنه قد اتخذ امرأه كوشية . فقالا هل كلم الرب موسى وحده . ألم يكلمنا نحن أيضا . فسمع الرب . وأما الرجل موسى فكان حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض » . وقد غضب الله عليهما لذلك ، وإن كان قد عاقبها وحدها ( ولا ندري السبب فى هذا ) وصرىها بالبرص ! ( ٢٥ ) ونسأل مرة أخرى : أيمكن أن تكون مثل هذه المرأة نبية ؟ لقد حُرّلت النبوة هزلاً قبيحاً إذن حتى سامتها كل مفلس ! وأحب أن يعرف القارىء أنه لما يحدث أن كلم الله هارون . ووفق ذلك فهارون ليس نبياً من أنبياء الله فى العهد القديم . إنما هو نبي



لموسى (٢٦) ، وموسى هو الذى كان يصدر إليه الأوامر بوصفه الربا له . وقد مررت الإشارة إلى ذلك . كما لم يُذكر فى أى موضع من العهد القديم أن الله قد كلّم مريم ، على عكس ما يقول كاتب سفر « العدد » فى النص الذى مررنا . ولم يرد الشئ فى العهد القديم أن مريم هذه قد تلّعت عن ربها لأحد شيئا . ثم إن الله سبحانه لا يعاقب أنبياءه ، بله يضرهم بالرحم

وتبقى حنة . وهى حنة بنت فنوئيل ، التى يقول عنها لوقا فى انجيله : « وكانت بيّنة حنة بنت فنوئيل من سبط أشير ، وهى متقدمة فى أيام كثيرة . قد عاشت مع زوج سبع سنين بعد مكورتين وهى أرملة نحو أربع وسابن سنة لا تفارق الهيكل عابدة بأصوام وظلمات ليلا ونهارا » (٢٧) . وكما نرى فليس فى النص ( ولا فى أى مكان آخر من لوقا أو غيره من الأناجيل ) كيف أصبحت هذه المرأة نبية . إنما هو مجرد ادعاء ليس غير . بل إن النص نفسه ليكذب هذا الادعاء ، إذ فيه أنها لم تكن تفارق الهيكل وأن كل ما كانت تفعله هو الصوم والصلاة ، فأبى ومتى وكيف كانت تعامس بها النبوة المزعومة ؟ إن القرآن يقول : « وما أرسلنا من قبلك إلا رجلا نوحى إليه » ، فما يفيد أن المسألة ليست مجرد الهراء أو وحى .

حتى رسالة يرسل الله بها رجالاً إلى أنوامهم ، فليدلنا من يكذبون  
القرآن على امرأة ( امرأة واحد ) قد أرسلها الله إلى قومها .

وإذا كانت الكهانة في الشريعة اليهودية ، كما هو معروف ،  
مقصورة على الذكور وحدهم من بنى لاوى ، فكيف يمكن أن يكون  
باب النبوة مفتوحاً على مصراعيه للرجال وللنساء على السواء رغم أن  
النبوة أهم وأخطر من الكهانة بمراحل ؟ بل إنه حينما اختار موسى  
سبعين من كبار قومه ليذهبوا معه إلى خيمة الاجتماع حيث يقفون  
هناك وينزل الله ويتكلم معهم ويأخذ من الروح الذى على موسى ويضع  
عليهم حتى يحملوا معه ثقل الشعب ولا ينفرد هو وحده بهذا العبء  
كان أولئك السمعون كلهم رجالاً بحسب الأمر الإلهي كما جاء في سفر  
« العدد » . وقد حدث حين نزل الله سبحانه في سحابة وتكلم معهم  
وأخذ من الروح الذى على موسى ووضع عليهم أن « تتأوا » جميعاً ،  
حسبما جاء في السفر المذكور ( ٢٨ )

وهي الحقيقة فإنه يصعب علينا تماماً أن نتصور امرأة مرسلة  
لهداية الناس وقيادتهم . إن المرأة بطبيعتها ضعيفة العتة ، وتتعرض  
للحيض والعمل والولادة والنقاس ، ونحصر لزوجها وبخاصة في بلاد  
الشرق حيث ظهرت أولئك النيات في زعم المعارضين ، فكيف يسكنها

أن تقوم بوطيفة الرسالة بجلالها وفديتها وتبعاتها الثقال التي لا يقدر عليها إلا الأفاضل أولو العزم من الرجال ؟ أليس مضحكا أن نتخيل نبيه حائضا أو حاملا قد برز بطنها للأمام فهي تتأوه وتضع يديها على خصرتيها وتتقأ ، أو وهي تصع وليدها وصراخها يبلغ عنان السماء ؟ وماذا تفعل إذا أمرت أن تبغ للناس حيا مما ينزل عليها فاعترض زوجها ونهاها عن الخروج من البيت مهددا إياها بالطلاق ؟ إننى هنا لا أتهكم ، فإن الشريعة اليهودية مثلا تشترط موافقة الأب على نذر ابنه ، والزوج على نذر زوجته ، وإلا فلا نذر عليهما ( ٢٩ ) .

وإن من يعرف أحكام الشريعة اليهودية الخاصة بالمرأة عند ولادتها وحيضها ليستغرب أشد الاستغراب مما جاء فى الكتاب المقدس عن وحيد نساء نبيات . إن الطمث عند اليهود يمتد سبعة أيام ، وكل من بمن المرأة فى هذه الأثناء بظل نجسا إلى المساء ، وكذلك كل ما تضطجع أو تجلس عليه . بل إنه إذا مس أحد فراشها فإنه يكون أيضا نجسا حتى المساء ، وعليه أن يغسل ثيابه ويستحم . ويسرى هذا الحكم أيضا حتى لو لم يكن الدم الذى يسيل من المرأة دم حيض . وعندما تظهر المرأة من دمها فإنها تبقى سبعة أيام أخرى قبل أن تظهر ، وفى اليوم الثامن تأخذ ذبيحة خطية وذبيحة سحرقة وتذهب

بهما إلى باب حيمة الاجتماع حيث تبقى هناك ولا تدخل ، فتسلمهما  
 للكاهن ليكفر بهما عثما من سيل نجاستها. كذلك فإن الاتصال  
 الجنسي بين الرجل والمرأة ينجسهما إلى المساء . أما الولادة فإنها  
 تنجس المرأة أسبوعاً إن كان المولود ذكراً ولا تمس حينئذ شيئاً مقدساً  
 ثلاثة وثلاثين يوماً ، وأما إن كان المولود أنثى فتنجس الأم لمدة  
 أسبوعين ولا تمس شيئاً مقدساً ستة وستين يوماً ( ٣٠ ) .

إن النبوة في الكتاب المقدس تمدو في كثير من الأحيان وقد  
 خلت من مضمونها الذي نعرفه : فنوح مثلاً يسكر حتى يفقد وعيه  
 وينطرح على الأرض وتتعرى سوائته أمام كل من هم ودب . وإبراهيم  
 يتنازل عن امرأته مرتين لفرعون وأبيمالك ، ولولا تدخل السماء في  
 اللحظة الأخيرة لاضطجع معها ذاك العاحلان . وصريه تضرب بالدف  
 للراقصات ونحقد على أحيائها وتعتابه ، ويضرها الله بالبرص . وتاول  
 ( وكان في عهد داود ) عندما يتسبأ يخلع ثيابه وينطرح عرياناً نهاره  
 كله وليله أمام الناس ( ٣١ )

والأنبياء يظهرون في نفس الوقت وفي نفس الموضع جماعات  
 جماعات ، وقد يتنبأون على أنعام الرباب والدف والناني والعود ( ٣٢ ) ،  
 حتى ليقول العقاد بحق أن شأن الأكثرين منهم لا يريد على شأن

الندراويش والمحاديث الذين يباركون الأطفال ، ويشفون المرضى ،  
ويتفوهون بالأقاويل التي تقلل التأويل على كل وجه حسبما يرتاح إليه  
السامع ، ويعيشون على الفضلات التي يقيها إليهم الناس (٣٣) .  
ولا يميز كتابُ العهد القديم بين الأنبياء ، الصادقين والأنبياء ،  
الكذبة ، فكلهم عندهم أنبياء ، (٣٤) . أما في الإسلام فالنبي شيء ،  
والمشئبي شيء آخر .

نخلص مما مرّ إلى أنه لا يحق للمعترضين أن يكذبوا ما جا،  
في القرآن من قوله تعالى : « وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى  
إليهم » ، فقد بينّا أن « رجالاً » في الآية تعني « بشرًا » ، وهو  
ما لا يمكن أن يعارضه أحد ، إذ ليس في تاريخ النبوات أن الأنبياء  
كانوا في يوم من الأيام ملائكة . ثم إننا لم نكتف بهذا ، بل أوضحنا  
أن الله لا يمكن أن يكون قد « أرسل » رسلاً من النساء . وليس في  
العهد القديم نبيات مرسلات . أما إن كان المقصود مجرد الإلهام أو  
الوحي لبعض النسوة بتطمين أوشارة ، كما هو الحال مع أم موسى  
وأم عيسى عليهم جميعاً السلام ، فذلك شيء آخر لم تنفهِ الآية ، بل  
تحدث القرآن عنه .

وعلى هذا فإن كلمة « رجالاً » ( في الآية التي نحن

بصددها ) تدل في نفس الوقت على أن الأنبياء الذين « أرسلهم » الله  
لهداية العباد وقيادتهم كانوا بشرا ، وكانوا رجالاً لا نساء . وهذا من  
أسلوب القرآن الفذ ، إذ إنه بكلمة واحدة قد أصاب المعنيين جميعاً .

## النهرامش

- ١- اشعل / ٤٢ ، والأنبياء / ٧
- ٢- رسائل العاظم / ٣ / ٣٠٥ - ٣٠٦
- ٣- التوفان / ٧ ، ٢٠ مثلاً
- ٤- الأنبياء / ٣
- ٥- الأنعام / ٨ ، وهود / ١٢ ، والاسراء / ١٢ ، ٩٤ ، والفرقان / ٧ .
- ٢٩ . ونحرى / ٣٢ .
- ٦- مثلاً هود / ٢٧ ، واسراخه / ١٠ ، ونهرامش / ٣٤ ، ٢٣ ، والشعرار
- ١٥٤ . ١٨٦ . ومصلحت / ١٤ ، والنهر / ٢٤
- ٧- الأنبياء / ٧ - ٨ ، واطر الآب / ٣٤ من غير سورة
- ٨- انظر مثلاً مختار الصحاح والمفرد الوسيط مادة « رج ز »
- ٩- نكوي / ٢٢ / ٢٤ - ٣٠
- ١٠- دنبال / ٩ / ٢٦
- ١١- نكوي / ١٢ / ٧ ، ١٧ / ١ ، ١٨ / ١ ، ٢٦ / ٢٤
- ١٢- نكوي / ١٨ / ٢٠ - ٢١
- ١٣- نكوي / ١٢ / ١٠ - ٢٠
- ١٤- نكوي / ٢٠ / ١ - ٧
- ١٥- نكوي / ٢٦ / ١ - ١١
- ١٦- نكوي / ٢٢ / ٢ .
- ١٧- نكوي ، ١٧ / ١٩ ، ٢٦ / ١٢
- ١٨- نكوي / ٢٦ / ٢٥ - ٢٦

١٩- نكوبين / ٢٦ / ٢٢ = ٢٢

٢٠- نكوبين / ٢٨ / ٢٠ = ٢٢

٢١- نكوبين / ٢٢ / ٢٤ = ٢٠

٢٢- نكوبين / ٢٦ / ٩ = ١٠

٢٣- نكوبين / الأصحاحان ٢٧ = ٢٨ وما بعدها .

٢٤- خروج / ١٥ / ٢٠ = ٢١

٢٥- عدد / ١٢ / ١ = ١٠

٢٦- فما عدا هذه الإشارة إلى سونه موسى فزده عليه السلام لا يُذكر في العهد

القديم إلا بوسمه كأننا لا نعرف .

٢٧- لوقا / ٢ / ٢٦ = ٢٧

٢٨- عدد / ١١ / ١٦ = ١٧ ، ٢٤ = ٢٩

٢٩- عدد / الأصحاح ٣٠ كله

٣٠- لاويين / ١٢ / ١ = ٨

٣١- صموئيل الأول / ١٩ / ٢٤

٣٢- انظر مثلا صموئيل الأول / ١٠ / ٥ = ١١ ، و ١١ / ٢٠ = ٢٢

٣٣- انظر سحاح محمود العقاد / مطلع أسور ( ص ٥ ) موسوعة العقاد

الإسلامية ٥ / ١ / ٨٢٦

٣٤- انظر مثلا عدد / ١١ / ٣٤ = ٢٩ . وثلاثة / ١٢ / ١ = ٥ ، و ١٧ /

٢٠ = ٢٢ ، وأرميا / ٥ / ٣٦ ، و ٦ / ١٢ ، و ١٢ / ١٤ = ١٥ ، و ٢٢ / ١١ =

٢٠ ، ومزمور / ٢٢ / ٢٥ = ٢٨ ، وانظر كذلك رؤيا يوحنا اللاهوتي / ١٦ / ١٢ ،

و ٢٠ / ١٠



## ٧- كلام عيسى في المهد

كذلك كان ما ذكره القرآن من كلام عيسى في المهد مشاراً  
لاعراض النصارى . وملخص كلامهم أنهم ، رغم تبيدهم له عليه  
السلام ، لا يعرفون له تلك المعجزة ، وكذلك لا يعرفها اليهود ولا  
المجوس ولا الصابئة ولا الهند ولا الترك ولا الخزر ، ولم تسجل في  
الانجيل رغم أن الكلام في المهد أعجب من كل عجب ، إذ هو أمر  
بمفرد به عيسى دون سائر الانبياء والمرسلين ، فضلاً عن أن الخداع فيه  
عبر ممكن ، فالطفل الرضيع لا يستطيع حيلة ولا نويها (١) .

وقد رد النحافظ ، رحمه الله ، بأن اليهود لا يقرون لعيسى بأية  
معجزة (٢) ، بل يرون أنه كان صاحب وقى وشعرة وحبل وأنه كانت  
عنده معرفة بالطلب والكتب ، وأن ما يزوى عن شعاعه المقعدين إنما  
كدر سائغان سابق بينه وبين بعض من الناس تظاهروا بأنهم مرضى  
لتفاحه . أما بالنسبة لم قيل أنه أجاد بعد موته فلم يكن في رعيهم  
ميناً ، بل كان الأمر مجرد اعماء ، فانتبه عيسى الفرصة وأوجه  
الناس أنه كان ميتاً وبأنه أعاد إليه الحياة . وبالمثل فالمجوس لا نفر  
لعيسى بأية معجزة . أما الهند والخرز والترك فأنهم لا يعرفون لنسب  
بأية معجزة بل لا يروون سررة أى منهم ، فلماذا الاستشهاد بهم في

مسألة كلام عيسى في المهدي بالذات ؟

ويبقى النصارى ورؤى الحافظ هنا هو أنهم إنما قبلوا دينهم عن يوحنا وصلى ١ من الحواريس في زعمهم ١ ومارقس ولوقا ١ من التابعين ١ ، وهؤلاء الأربعة لا يؤمن عليهم الغلط ولا النسبان ولا تعتمد الكذب ولا التواطؤ على اقتناء الرئاسة ، وإن اختلف أناحيلهم وتناقضها مع بعضها البعض لدليل على ذلك (٣) .

وصحبح تماما ما بقوله الجاحظ عن اختلاف الاناجيل وتناقضاتها بل وأخطائها أيضا . ويكفى أن تقول هذه الكتب إن عيسى هو الله أو ابن الله حتى تنتفى عنها الثقة ، إذ إن هذا بطبيعته ضلال بل كفر صريح . ثم إنه من الغريب المضحك أن يقال مثلاً إن هذا الإله ( أو ابن الإله ) قد تعتمد على يد أحد من عباده ، وهو يحيى عليه السلام (٤) ، أو إن الشيطان قد قدده إلى جناح الهيكل في القدس ثم إلى إحدى قمم الجبال ليختبره بعد ذلك أمره بالسجود له . فأى إله ذلك الذى يحتاج إلى الاعتماد أصلاً ، فضلاً عن أن يتم الاعتماد على يد أحد من مخلوقاته ؟ وأى إله ذلك الذى يقوده إبليس فينقاد له ؟ وكيف يطمع إبليس في ربه إلى هذا الحد المخزى ؟ والطريف أن عيسى ( وهو إله في زعمهم ) يرد على الشيطان حين يأمره بالسجود له

فانثلا : « مكتوب : للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد » ( ٥ ) . أى أن عيسى يعترف بأنه مجرد عبد وأن عليه أن يسجد لربه . فكيف يكون إلهًا ويكون له فى نفس الوقت إله ؟ وبالمناسبة فتعميد يحيى لعيسى واختبار إبليس له ليسا مذكورين فى إنجيل يوحنا ، على عكس الأناجيل الثلاثة الأخرى .

كذلك فبين سلسلتى النسب اللتين أوردتهما متى ولوقا للمسيح ابن مريم عليه السلام اختلاف شديد حسبما أشرنا من قبل . ويمكن للفارزى الرجوع إليهما بنفسه ليرى كثرة الاختلافات والتناقضات التى بينهما . وحسبنا أن نقول هنا مرة أخرى إن كلتا السلسلتين تنسبه إلى يوسف النجار . بل إن أمه هى أيضا تقول له إن يوسف أبوه . وقد مر هذا أما .

وعيسى عليه السلام ، حسبما جاء فى الأناجيل ، يقول مؤكدا : « لا نظنوا أسي جنت لأتقص الشاموس أو الأنبياء . ما حنت لأتقص بل لأكمل . فإني الحق أقول لكم إلى أن نزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الشاموس حتى يكون الكل . فمن نقص إحدى الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر فى ملكوت السماوات . وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيما فى ملكوت

السموات « (٦) وعقب ذلك يطلق هو نفسه حادسا ما جـ ، في  
 الناموس . مثل ذلك أن الطلاق كان مشروعا قبله عليه السلام فحاء  
 هو وحرّمه إلا لعلة الرنى ، بل جعل الزواج من المرأة المطلقة لونا من  
 ألوان الرنى . كما أن الحلف بالله كان حائزا فلا ، ثم أتى هو فحرّمه  
 كذلك حرم الفصاص ، بل نهى عن مقاومة الشر البتة (٧) . ولم يكتف  
 بذلك بل جعل ما يأمر به تلاميذه أو ينهون عنه شرعا إلهيا  
 واجبا (٨) . ومعروف ما فعله بولس بعد ذلك من تحليل الميتة  
 والخنزير والغاء الحتان . وهذا كله نقض للناموس .

وهو ، حسبا جـ ، في الأناجيل الحالية ، يقول لبطرس :  
 « أنت بطرس وعلى هذه الصخرة ( يقصد بالصخرة هنا بطرس ) أنى  
 كنيسة وأصوات الجحيم لن تقوى عليها . وأعطيك مفتاح ملكوت  
 السموات . فكل ما تربطه فى الأرض يكون مربوطا فى السموات وكل  
 ما تحله على الأرض يكون محلولا فى السموات » (٩) ، ثم يستدير  
 ٣٦٠ درجة قائلاً لبطرس هذا نفسه بعد ثلاثة أسطر : « اذهب  
 عنى يا شيطان ، أنت معثرة لى لأنك لا تهتم بما لله لكى بما  
 للناس » (١٠) ، وذلك حين اشتهر هذا التلميذ فأى إله ذلك الذى  
 يغير رأيه هكذا وشبكاً ؟ وأعرب من ذلك أن بطرس عندما اشتهر كان

يناديه بـ « يا رب » . فكيف ينتهر إنسان ربه ؟

وهو عليه السلام يقول في موضع من الاناجيل : « لا تقاوموا الشر . بل من لطمك على خدك الأيمن فحوّل له الآخر أيضا . ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا . ومن سحرك ميلا فادعهم معه اثنين ... أحوا أعداءكم . باركوا لاعبيكم . أحسنوا إلى مبغضكم » (١١) ، ثم نسمعه في موضع آخر يقول : « جئت لألقى نارا على الأرض فماذا أريد لو اضطرمت ... أتظنون أنني جئت لأعطي سلاما على الأرض كلا أقول لكم . بل انقساما » (١٢) .

كمال قال عن نفسه إنه لم يأت إلى العالم ليدين الناس : « لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم » (١٣) . وبعد قليل نجد عكس ذلك ، إذ يعود ويقول إن « الأب لا يدين أحدا بل أعطي كل الديوثنة للابن ... وأعطاء سلطانا أن يدين أيضا لأنه ابن الإنسان .. كما أسمع أدب ودينوتى عادلة » (١٤) .

وهو يؤكد أن شهادته لنفسه ليست حقا (١٥) ، لكنه لما حاكمه التريسمون إلى كلامه هذا عن نفسه فانليل له : « أنت تشهد لنفسك شهادتك ليست حقا » نفس ما كان قد قاله وأكد لهم أن شهادته لنفسه حق (١٦) .

وحتى في قصة الصلب ، والصلب أساس المسيحية ، نجد  
 عجا . فالانجيل الثلاثة الأولى تتناول إن رحلاً ضرورياً منه سمعان هو  
 الذي حمل الصلب الذي قُتل عليه المسيح (١٧) ، على حين يذكر  
 إنجيل يوحنا أنه هو الذي حمل صليبه بنفسه (١٨) .

ومرة يقال لنا إن اللصين اللذين صُلِّبا معه كانا يعتبرانه  
 يستهزئان به كلاًهما لأنه رغم ادعائه أنه ابن الله قد عجز عن نيل  
 نفسه من الصلب (١٩) ، ومرة أخرى يقال إن أحد اللصين فقط  
 هو الذي عبره ، أما الآخر فكان متعاطفاً معه وانتهر زميله  
 بشدة ، ثم انتهل إلى عيسى قائلاً : « اذكرني يا رب متى جئت في  
 ملكوتك » . فبعد عيسى بأنه سيكون معه في الفردوس في نفس  
 ذلك اليوم الذي وضع فيه الصلب على زعمهم (٢٠) . أما يوحنا فلم  
 يقل في هذا الأمر شيئاً فأزاح واسنحاح .

وحتى الكلمات التي يُدعى أنه قد نطق بها وهو يسلم الروح  
 نجد الانجيل مختلفاً فيها اختلافاً عالياً : فهي عند متى  
 ومرفس : « إلهي إلهي لماذا تركتني » (٢١) ، وفي انجيل لوقا :  
 « يا أبته في يديك أستودع روحي » (٢٢) ، وفي يوحنا : « قد  
 أكمل » (٢٣) ثم اليس عجيباً أن هذا الإله الذي رل من علبانه

يُصَلِّب نكفيرا عن ذنوب البشرية التي ورثتها عن أبيها آدم ، كما يقولون ، يأتي في آخر لحظة فيضعف كل هذا الضعف ويدعو ١ يدعو من ؟ يدعو إليه ! ) أن يهب لنجدته ، ويستعرب في ألم لأنه تركه ولم يبادر إلى إنقاذه ؟

أما الصابغ الذي كان بشرى على عملية الصلب ففي بعض الأناجيل أنه قال بعد أن شاهد بعض المعجزات التي وقعت آنذاك : « حقا كان هذا ( الإنسان ) ابن الله » ( ٢٤ ) ، وفي بعضها الآخر : « في العجبة كان هذا الإنسان بارًا » ( ٢٥ ) . وفي إنجيل يوحنا لا يوجد شيء من ذلك البتة .

وبينما يذكر الإنجيلان الأولان أن بيلاطس قبل أن يسلم عيسى للصلب قد قام بجلده ( ٢٦ ) نجد الإنجيليين الآخرين لا يقولون شيئا عن عملية الجلد تلك .

فهذه هي الأناجيل التي يجعلونها مقبلة للقرآن ويخطئون لأنه ذكر شيئا لم يرد فيها . وأحب أن أنه القارئ إلى أن ما ذكرته من الاختلافات والتناقضات بين الأناجيل إنما هو غيبس من قبس وفد أمضى المعشوق بدراسة الكتاب المقدس من غربيين وشرقيين ، نصاري ومسلمين في رصد هذه الاحطاء وذكرها ، فليرجع القارئ ،

إليهم إذا أراد .

وعلينا ألا ننسى أن الأناجيل الأربعة الموثوق بها عندهم قد كُتبت بعد رفع عيسى عليه السلام عشرات السنين ومن الذاكرة ، أى بعد أن كانت قد نُسيَت أشياء وزيدت أشياء ، واقتحمت الوثنية العقائد والتشريعات النصرانية . وكلامه فى المهد معجزة قد وقعت قبل أن يصير بيتا ويصبح مهنا فى نظر الناس بزم طويل بحيث يهتمون بما يقول أو بفعل ويحفظونه ، وكان ذلك أمام قوم أمه ولم يكن أمام الناس جميعا . فأغلب الظن أن ذلك هو السبب فى أن هذه المعجزة لم تشع شيوع معجزاته الأخرى . بل إنه كانت فى بعض الأناجيل التى تعتمد على الكنسية أشياء حُذفت منها ، فضلا عن ضياع معظم رسائل بولس ( ٢٧ ) .

ثم إن الأناجيل التى كُتبت عن سيرة المسيح كانت بالعشرات ، وعدم ذكر الأناجيل الأربعة لكلامه فى المهد لا يدل بالضرورة على أنه لم يفتح . ويقول جماعة من اللاهوتيين النصارى إن الأناجيل الأربعة « لا تتضمن تاريخا كاملا عن أعمال ربنا المجيد وتعاليمه بل ذكر ملخصه ووظيفته وتأسيس النظام المسيحى ، الذى هو موضوعه الأعظم ، على أسلوب مختصر » ( ٢٨ ) . وفى إنجيل الصا ( أو الطفولة ) ، الذى



كتب في عصر المسيح عليه السلام ، أنه كان يحلق من الطيب كهبة الطير (٢٩) ، مع ان ذلك ليس في اللاحيل الاربعة المعتمدة عند الكهبة ، كما ذكر له انجيل برنابا معجراته أخرى لما ترد في اللاحيل الاربعة ، مثل صراح حجرة اورشليم تباركه ومعجزة المرأة (٣٠)

وفي هذا الانجيل أيضا أنه تكلم في المهدي ، اذ جاء فيه ان الطفل الرضيع قد حدث انحوس الذهب اتوا من بلادهم إلى المنزل الذي ولد فيه ، محدرا اياهم أن يبروا في طريق عودتهم بهيرودس ، حتى لا يعرف صتهه - مكان وجوده فيقتله (٣١) ، ومن الصعب الادعاء بان أحد من يريدون الدعاية للإسلام هو الذي كتب هذا في الانجيل المذكور ، إذ إن الكلام الذي ورد في القرآن على لسانه عليه السلام وهو لا يزال رضيعا يختلف عن هذا ، كما أن الموقف غير الموقف ، فقد وقع كلامه في القرآن عندما أشادت أمه إليه رداً على اتهامهم اياها بالزنى ، وكان على النحو التالي « ابي عبد الله ، آتاني الكتاب وجعلني نبيا » وجعلني مبارك أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما بمت حيا » ورا بوالدتي وذا يجعلني حارا شقيا » والسلام على يوه ، ولدت وبوم أموت وبوم أبعث حيا » (٣٢) . فهذه التوصيلات مختلفة عما ورد في برنابا رغم اتفاق الكتابين على كلامه في المهدي ومثل ذلك

يقال فيما رواد إنجيل الطفولة عن كلامه وهو طفل رضيع ، إذ إن ما قاله آنذاك حسب ذلك الإنجيل هو أنه ابن الله (٣٣) .

وقد سمع النجاشي وطارقته صدر سورة « مريم » وفيه كلامه عليه السلام في المهد جواباً على إشارة أمه إليه عندما اتهمت بأنها ولدته من سفاح ، ولم ينكر أحد منهم ذلك ، بل أقر النجاشي بأن ما يقوله القرآن عن عيسى عليه السلام هو نفس ما يؤمنون به (٣٤) .

وقد كان كبار رجال الدين النصارى النحرايين الذين وفدوا على النبی صلی الله عليه وسلم في المدينة يؤمنون بمعجزة كلام عيسى عليه السلام في المهد ، بل انه اتخذوها حجة على أنه ابن الله (٣٥) .

وكذلك أقر الإنبياء شهود ( البابا شنودة حالياً ) بما جاء في القرآن عن كلامه عليه السلام في المهد ، مؤكداً أنه معجزة ١ تحدث لأحد من قبله ولا من بعده (٣٦) .

ويستنكر القرافي ، رحمه الله ، اعتراض المعتزليين من النصارى على ما ذكر القرآن من كلام عيسى في المهد مؤكداً أن من العريب أن يكون لها ( في زعمهم ) فادراً على كل شيء ، ومع هذا برك أمه بهباً لتهمة الزنى دون أن يسادر إلى تبرئتها . ان حسا منتهى العقوف (٣٧) . ويسعى أن يضيف هنا انه لو لم تحدث مثل هذه

المعجزه لترجمت سريره تسعا لشرعة موسى ، إذ ما سر ذلك على انزى  
أوضح من العمل ، ففى الانجيل لهم أتوا إلى عيسى بامرأة راسه  
لينفذ فيها حكم الرحم على ما تفصى به شريعة التوراة (٣٨) .

## الهرامش

- ١- انظر ٥ رسائل الجاحظ ٥ ٢ / ٢٠٦ - ٢٠٨
- ٢- وصف أنهم لم يكونوا يرون أنه سي ، فضلا عن أن يكون إلها أو ابن إله
- ٣- رسائل الجاحظ ٢ / ٢٢٤ - ٢٢٩
- ٤- منى / ٢ / ١٣ - ١٦ . ومرفس / ١ / ١ ، ولوفا / ٣ / ٢١ .
- ٥- منى / ٤ / ١ - ٦٠ . ومرفس / ١ / ١٢ - ١٣ ، ولوفا / ٤ / ١ -
- ٦- منى / ٥ / ١٧ - ٢٠
- ٧- منى / ٥ / ٢٦ - ٤٢ . ومرفس / ١٠ / ٢ - ١٢
- ٨- منى / ١٦ / ١٩ . و ١٨ / ١٨ / ١٩ .
- ٩- منى / ١٦ / ١٨ - ١٩
- ١٠- منى / ١٦ / ٢٢
- ١١- منى / ٥ / ٢١ - ٤٤ . وثوب / ٦ / ٢٧ - ٣١
- ١٢- لوفا / ١٦ / ٤٩ - ٥١
- ١٣- يوحنا / ٣ / ١٧ .
- ١٤- يوحنا / ٥ / ٢٢ ، ٢٧ ، ٣٠ .
- ١٥- يوحنا / ٥ / ٣١
- ١٦- يوحنا / ٨ / ١٢ - ١٤ ، ١٨ .
- ١٧- منى / ٢٧ / ٢٢ . ومرفس / ١٥ / ٢١ ، ولوفا / ٢٢ / ٢٦
- ١٨- يوحنا / ١٩ / ١٧
- ١٩- منى / ٢٧ / ٤٢ . ومرفس / ١٤ / ٣٢

- ٢٠- لوقا / ٢٢ / ٢٩ - ٤٠
- ٢١- متى / ٢٧ / ٤٦ - ومرقس / ١٥ / ٢٥
- ٢٢- لوقا / ٢٣ / ٤٦ ،
- ٢٣- يوحنا / ١١ / ٢٠
- ٢٤- متى / ٢٧ / ٥٥ ، ومرقس / ١٥ / ٢٩
- ٢٥- لوقا / ٢٢ / ٤٧
- ٢٦- متى / ٢٧ / ٢٥ ، ومرقس / ١٥ / ١٥
- ٢٧- مطر مثلاً في دواينث ، قصة القصيدة ، ترجمة محمد بدران / ١١ /
- ٢٦٢ . ر / ١٥ / ١٢١٠ ، بائنه، متى ، محمد حلال ، كشمير جواهر مسلم في الجهاد والذل - حبل الألفيات / ١٥٠ - ١٥٤
- ٢٨- كتاب « رب العبد » لجماعة من اللاهوتس المسيحيين / ٢٢٦ - ٢٢٧
- ٢٩- نظم تفسير المزار / ٢ / ٢١١
- ٣٠- إيجيل برنام / ترجمه د حليل سعده / ٢٩٢ - ٢٩٣
- ٢١- إيجيل برنام / ١
- ٣٢- مريم / ٢٧ - ٢٤
- ٣٣- إيجيل القنفوت / الأصحاح ١ / ٢ = ٣ محمد عمر الطهطاوي /
- محمد صلى الله عليه وسلم نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والفرقان / ١١٠ - ١١١ ،
- ٢٤- انظر سيرة ابن هشام / ١ / ٣٢٥ - ٣٣٧
- ٢٥- المرحع القسبي / ١ / ٥٧٥
- ٢٦- انظر مقال « الفران والمسيح » للأنبا شودة / مجلة « لاهلال »
- انصية / ديسمبر ١٩٧٠م / ٢٥

٣٧- انظر الترامى / الأجوبة الصادرة عن الأسئلة العاجزة / تحقيق د . بكر

زكى عوض / ٣٤٧ = ٣٤٨

٣٨- يوحنا / ٨ / ١ وما بعدها

## ٨- هل النصارى أقرب مودة من غيرهم للمسلمين ؟

وقد نظرن الجاحظ ، في أثناء مناقشة شبهات النصارى التي عرض لها ودة عليها في رسالته ، إلى موقف عوام المسلمين منهم ، والسب الذي صاروا به أحب إليهم من المجوس ، وأسلم صديوقا عنده من اليهود وأقرب مودة وأقل عائلة وأصغر كفرا وأخبر عذابا ، وكشف يغلط كثير من المسلمين في تأويل قوله تعالى : « لتجدن أئمة الناس عداوة للذين أمسوا اليهود والذين أتركوا ، ولتجدن أفرجه مودة للذين أمسوا الذين قالوا : إنا نصارى . ذلك بأن منهم فسيقين ورجبانا وأنه لا يستكبرون » وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول نرى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ، يقولون : ربنا ، أمم ، فاكنتنا مع الشاهدين ، ومالنا لا نؤمن بالله وما حابنا من الحق ونطمع أن يبدلنا ربنا مع القوم الصالحين ؟ ، فأثابهم الله ما فعلوا جنات تحرى من نحتها الأنهار خالدين فيها ، وذلك حراء المحسبي « (١) »

وقد علق الجاحظ على ذلك بقوله : « وفي نفس الآية أعظم دليل على أن الله تعالى لم يغض هؤلاء ، النصارى ولا أشباههم المملكانية والبعقوبية ، وإنما عني ضرب ( أى مثل ) تحيرا وصراب الرصاص الذين كانوا يخدمهم سلمان (٢) . وس حقل قوله : « الذين قالوا : إنا نصارى »

على الغلط منهم ( أى على الغلط من عوام المسلمين ) فى الأساء  
وبين أن يحزم عليهم لأنهم نصارى : مرق « ( ٢١ ) .

وهذه من المسائل التى تحتاج إلى توضيح وتفصيل أكثر من  
ذلك . ولابد فيها من الرجوع إلى ما قاله القرآن فى المواضع المختلفة  
منه فى النصارى وعقائدهم ، وعدم الاختصار على هذه الآية التى  
أثارت عند عوام المسلمين هذا الإشكال ، وبخاصة أن كثيرا من  
النصارى من مستشرقين وعرب حينما يكتبون عن رأى القرآن فيهم  
وفى دينهم يستشهدون بهذه الآية الكريمة دليلا على رضا الإسلام عنهم  
ورأبه الطيب فيهم والمصير السعيد الذى ينتظرهم هم وقساوستهم  
ورحانهم . وإلى القارىء خلاصة ما يخرج به الباحث فى القرآن عن وجه  
الحق فى هذه القضية :

لقد وصف القرآن الكريم فى عدد من المواضع انحرافات  
النصارى ، ومنها عقيدتهم فى « التثليث » ، وجعلها ككُفْرٍ من  
الكُفْر ، وحكم على الذين يقولون بها بأنهم كُفَّار مشركون . قال تعالى :  
« لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم . وقال المسيح : يا  
بنى إسرائيل ، اعبدوا الله ربى وربكم . إنه من يَشْرِكْ بالله فقد حَرَّمَ  
الله عليه الجنة وماؤه النار . وما للظالمين من أنصار » لقد كفر



الذين قالوا : إن الله ثالث ثلاثة . وما من إله إلا اله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمتنّ الذين كفروا منهم عذاب اليه « (٤) . وهو يؤكد أن عيسى لم يكن إلا عبدا لله ورسولا احثاره ليطع رسالته إلى سى إسرائيل ، ويصمّ الذين يدعون خلاف ذلك بالكذب والإفساد ، ويدعو إلى لعنهم : « إن مثل عيسى عنده الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له : كُنْ ، فيكون \* الحق من ربك فلا تكفّر من الممتنّين \* فمن حاكك فيه من بعد ما حاك من العلم فقل : تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين \* إن هذا لهُو القصص الحق . وما من إله إلا الله . وإن الله لهُو العزيز الحكيم \* فإن تولّوا فإن الله عليم بالفسدين « (٥) .

وقد نكر فرقة بينهم وبين اليهود ، مما يدلّ على أن هناك أوجه تشابه بين الفريقين . فال عز وجل : « وقالت اليهود : عزير ابن الله . وقالت النصارى : المسيح ابن الله . ذلك قولهم بأفواههم ، يصاهتون قول الذين كفروا من قبل . قاتلهم الله ! أنى يؤفكون ؟ » اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم . وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو . سبحانه عما يشركون »

يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأمر الله إلا أن يمس نوره ولو كره الكافرون « (١٦) . وقال أيضا : « وقالوا : لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى ، تلك أمانيهم . قل : هاتوا ميثاقكم إن كنتم صادقين « (١٧) . وقال سبحانه : « وقالت اليهود والنصارى : نحن أبناء الله وأحباؤه . قل : فلم يعذبكم بذنوبكم ؟ بل أنتم بشر ممن خلق . يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء . والله ملك السماوات والأرض وما بينهما ، وإليه المصير « (١٨) . وقال تعالى : « وقالوا : كونوا هودا أو نصارى تهتدوا . قل : بل ملة إبراهيم حنيفا ، وما كان من المشركين « (١٩) .

وحذا الاقتران بينهما في القرآن غير مفسور على الكلام عن عقائدهم المنحرفة بل يشمل أيضا مشاعر الكراهة والحقد التي يكونونها للمسلمين ورعبتهم في أن يختلجهم عن دينهم الحق ويجزؤهم معهم فيما هم فيه من كفر وصال : « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم . قل : إن هدى الله هو الهدى . ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي حاك من العلم ماله من الله من ولى ولا نصير « (٢٠) . « وذا كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا ، حسدا من عند أنفسهم من بعد ما نهى لهم

الحق فاعلموا واصدحوا حتى يأتى الله بأمره . ان الله على كل شيء  
قدير « (١١)

كذلك فإن رأى القرآن فى معظم رجال الديس من اليهود  
والنصارى أنهم يصعدون عن سبيل الله ويأكلون أموال أتباعهم بالباطل :  
« يا أيها الذين آمنوا ، إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال  
الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله . والذين يكتزون الذهب والفضة  
ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » (١٢) . وهم  
يتوعدهم بعذاب أليم فى نار جهنم يحرق أديانهم ويكويها . « يوم  
يُحْمَى عليها فى نار جهنم فَتَكُونُ بها حياهم وجنوبهم وطهورهم : هذا  
ما كنزتم لأنفسكم ، فذوقوا ما كنتم تكنزون » (١٣) . وقد رأينا  
كيف أن أتباعهم قد اتخذوهم أربابا من دون الله . وبطبيعة الحال فقد  
باركوا هذا ودفعوا إليه واستزادوا منه ، وإلا لكف أتباعهم عنه ولكان  
القرآن حينئذ قد برأهم من جريمة هؤلاء الأنبياع وكفرهم .

ما تقدم يتبين لنا رأى القرآن السنى، فى النصارى وعقائدهم  
وبعضهم للإسلام والمسلمين وكذلك فى رجال دينهم . وهم فى ذلك مثل  
اليهود وأحبارهم ، فلماذا قال القرآن فيهم إذن : « لنجدن أئمة الناس  
عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا . ولنجدن أقربهم مودة للذين

آمنوا الذين قالوا : انا نصارى . ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وانهم  
 لا يستكبرون \* وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض  
 من الدمع مما عرفوا من الحق ، يقولون : ربنا ، آمنا ، فاكتمنا مع  
 الشاهدين \* وماننا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن  
 يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ؟ \* فأثابهم الله بما قالوا جنات  
 تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، وذلك جزاء المحسنين » ، مما  
 قد يقَّهم منه أنه يفرق بينهم وبين اليهود في مسألة المشاعر تجاه  
 المؤمنين وفي مسألة المصير الذي ينتظرهم ؟ هل يعقل أن يكون للقرآن  
 رأيان في النصارى متناقضان هذا التناقض ، إذ يصمم بالكفر والشرك  
 والكذب والافساد والفسوق في مواضع منه ويتوعدهم بما يتوعد به كل  
 كافر كذاب ، ثم يأتي في هذه الآيات الأخيرة فيذكرهم بأنهم أقرب  
 الناس سوءة للذين آمنوا ويتحدث عن رقة قلوبهم وسارعتهم إلى  
 الايمان برسالة محمد عليه الصلاة والسلام ويبشرهم بما أثابهم الله به  
 من الجنات التي تجري من تحتها الأنهار والحلوة فيها جزاء لهم على  
 إيمانهم وإحسانهم ؟

لقد رجدت عددا من الكتاب في بعض البلاد العربية يذكر  
 النصارى بخير ويثنى عليهم ويمدحهم مستشهدا بهذه الآيات ، فكنتُ

أنعجب من ذلك واستعربه أتد الاستغراب ، وأحاول أن أبين أن الأمر ليس كما يظنون . ولكن فريفا من الذبن كنتُ أحاورهم كانوا لا يفتنعون تماما بما أقول .

وقد كان منطلقى هو أن القرآن لا يمكن أن يتناقض بعضه مع بعض . فإذا كان يكفر النصارى ويشوعدهم بالعذاب الأليم ويدعوه إلى التوبة مما هم عليه فلا يُعقل أن يرجع فيقول نبيهم عكس ذلك مع بقائهم على ما هم عليه وعدم توبتهم منه . ونويتهم لن تكون طبيعة الحال إلا بالتصديق برسالة محمد عليه الصلاة والسلام والتحول إلى الإسلام .

وكنْتُ أضيف أن عداوة النصارى للإسلام طوال هذه القرون الأربعة عشر هى عداوة لدود ، وأن المسلمين لم يروا منهم رحمة ولا عدلا أو إنصافا ، وأن مؤامراتهم علينا لم تنته ، وأنه قد اتضح لكل إنسان الآن ما يخططون له لغتننا عن ديننا وإدخالنا فى دينهم ، وكأنه لم يكفهم ما أنزلوه بنا من ويلات وتقتيل وتشكيل واستنزاف ثروات أباى أن كان استعمارهم لبلادنا استعمارا ظاهرا ، ولا مازالوا يُنزلونه بنا من هنا كله وغيره فى هذه الأيام المشؤم التى انحذت سيطرتهم علينا أساليب أخفى وأدهى ، وأن رجال دينهم من قساوسة ورجال كانوا ومازالوا هم

الذين يحرضونهم ويقودونهم ويمثّلونهم أثناء هذا العدوان الشرس الذي  
نصطفى ناره منذ قرون . وكنت أذكر بالحروب الصليبية التي سمر نارها  
هؤلاء القساسة والرهبان ، والفظاعة البتعة التي عامل النصارى بها  
أعدائنا في الاندلس ، والغدر والخيانة اللذين توسلوا بهما إلى خنق  
الأنفاس الأخيرة للمسلمين هناك حتى أصبحت البلاد كاثوليكية مثلثة  
بعد أن كانت توحيد الله وتؤمن بمحمد عليه السلام وبالقُرآن الذي حا ،  
به من عند ربه ، وانتزاع فلسطين من أيدينا وإعطائها غنيمة باردة  
 لليهود ، والقسوة المشوَّشة التي نصّت على الأقليات ( وأحيانا  
الأكثريات ) المسلمة في البلاد التي يحكمها النصارى ، والسخائم  
السوداء التي تلتفح ما يكتبه معظم المستشرقين وكل المبشرين عن  
محمد عليه الصلاة والسلام ودينه الحق . ثم ها نحن أولاً ، فد رأينا  
نأم أعيننا ما فعله العرب ( العرب كله ، لا الصرب وحدهم كما  
تحاول وسائل الاعلام أن تقنعنا ) بإخواننا المسلمين في يوغسلافيا  
السابقة ، كراهية منهم أن يسمعوا في أوروبا كلمة التوحيد .

ثم كنت أقول إنه لا شيء في هذه الآيات الكريمة يمكن أن  
يصدّق على النصارى ؛ فلا هم ينطوون لنا على أية مودة ، ولا هم  
يظهرون نحونا تراضاً إذا كان في يدهم القوة والسلطان ، ولا أعينهم

نعيص من الدمع عند سماعهم القرآن الكريم ، ولاحم يحترقون بالحق ويعلمون الإيمان بمحمد ودينه . كذلك فإن الآيات تعلل ما ذكرته من صودنهم للمسلمين بأن منهم قسيسين ورحبانا ، فمتى كان القسيسون والرحبان يبيّتون لأتباعهم أو رسالة محمد صلى الله عليه وسلم هي رسالة الحق وأنهم يتبغى أن يؤمنوا بها . ثم لا يكتفون بهذا بل يسارعون إلى أن يكونوا هم أول المؤمنين ؟

وأخيرا كيف يمكن أن يقول القرآن عن النصارى إنهم أقرب لنا مودة وهو ينهانا نهيا حاسما في نفس السورة ( الآية / ٥٦ ) عن موالاتهم بأية حال ؟ إذن ما وجه الحق في هذه الآيات ؟ الحقيقة أنها قد نزلت في فريق مخصوص من النصارى وفدوا على المدينة وقرأ عليهم النبي صلى الله عليه وسلم بعض آيات القرآن فلمست قلوبهم وتفتحت لها عقولهم وهزتهم من أعماقهم ففاض من عيونهم الدمع رفةً وحنانا وتواصتا وإخباتا ، وسرعان ما أعلنوا إسلامهم (١٤) . إذن فالكلام في الآيات هو عن نصارى باعياهم وليس عن كل النصارى . وفوله سبحانه : « الذين قالوا : إنا نصارى » ليس على إطلاقه فيشمل جنس النصارى كله ، ولكنه للعهد . أي أن المقصود به طائفة معينة يعرفها المخاطب بالكلام .

وقد كان في هذا الوفد عدد من القساوسة والرهبان فأشار القرآن الكريم إليهم بقوله : « ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا » . على أن إشارة القرآن في نظري ليست لمجرد الإخبار ، وإلا لما كان ثمة داع إليها ، إذ ماذا يفيد أن نقول إنه كان في هذا الوفد قسيسون ورهبان ، إذا كان وجودهم فيه لا يقدم ولا يؤخر ؟ إن معنى « القسيس » هو العالم عندهم ، أما « الراهب » فهو العابد الذي يخاف ربه ويهرب مقامه سبحانه ويخشى عذابه . ويبدو أن المقصود بقوله عز وجل : « ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا » أنه كان فيهم قساوسة ورهبان حقيقيون . وذلك مثلما يقول الواحد منا : « إن فلانا رجل » ، وهو لا يريد أن يشير إلى جنسه وأنه رجل لا امرأة ، وإنما قصده أنه رجل بكل معاني الكلمة من المروءة والوفاء وإمكان الاعتماد عليه في وقت الشدة والجهار بكلمة الحق ... إلخ . فكونهم قسيسين ورهبانا بحق ، أي عالمين مخلصين للحقيقة يحبرون بها دوماً مواربة أو خوف أو مراعاة للمصالح والأطماع الذاتية ، وخائفين متقين لربهم يرحون رحمته ويحشون عذابه ، هو الذي جعلهم يخشعون لما سمعوه من القرآن ولا يتأثرون على ما فيه من دعوة الحق بل يسارعون إلى التصديق به وإعلان إيمانهم أمام الملأ ، مما كان له تأثير على سائر أعضاء



الوفد فأعلنوا إيمانهم محبة .

يقول سيد قطب ، رحمه الله ، فى هذا الصدد : « إذا كان الواقع التاريخى قد حفظ لليهود وقفتهم النكدة للإسلام منذ اليوم الأول الذى دخل فيه المسلمون عليهم المدينة فى صورة كيد لم ينته ولم يكف حتى اللحظة الحاضرة .. فإن هذا الواقع قد حفظ كذلك للنصارى الصليبيين أنهم اتخذوا من الإسلام موقف العدا ، منذ وقعة اليرموك بين جيش المسلمين وجيوش الروم ، فيما عدا الحالات التى وقع فيها ما تصفه الآيات التى نحن بصدها فاستحابت قلوب للإسلام ودخلت فيه ، وفيما عدا حالات أخرى أثرت فيها طوائف من النصارى أن تحتمى بعدل الإسلام من ظلم طوائف أخرى من النصارى كانوا يلاقون من ظلمها الوبال . أما التيار العام الذى يمثل موقف النصارى حملة فهو تلك الحروب الصليبية التى لم يخبأ أوراها إلا فى الظاهر منذ التقى الإسلام والرومان على ضفاف اليرموك ... ولقد طلعت الصهيونية العالمية والصليبية العالمية حليتين فى حرب الإسلام على كل ما بينهما من أحقاد ، ولكنهم كانوا فى حريمهم للإسلام كما قال عنهم عليه الخبير : « بعضهم أولياء بعض » حتى مزقوا دولة الخلافة ، ثم مضوا ينتفضون هذا الدين عروة عروة ...

وهذا ما ينبغي أن يعيه الواعون اليوم وغدا فلا ينساقوا وراء  
حركات التميع الخادعة أو المخدوعة ، التي تنظر إلى أوائل مثل هذا  
النص القرآني دون متابعة لبقيته ، ودون متابعة لسياق السورة كله ،  
ودون متابعة لتقارير القرآن عامة ، ودون متابعة للواقع التاريخي الذي  
يصدق هذا كله ، ثم تتخذ من ذلك وسيلة لتخدير مشاعر المسلمين  
تجاه المعسكرات التي تضرر لهم الحق وتبيّت لهم الكيد ، الأمر الذي  
تبذل فيه هذه المعسكرات جهودها وهي بصدد الضرية الأخيرة الموجهة إلى  
جنور العقيدة « (١٥) -

## الهوامش

- ١- المائة ٨٢ / ٨٥ .
- ٢- يقصد الرهبان الذين اتصل بهم سلمان الفارسي في رحلة بحثه عن الحق والذين كانوا يحسرونه بقرب سمعته من جهة بلاد العرب .
- ٣- رسائل الحافظ / ٢ / ٣٠٨ - ٣١١ .
- ٤- المائة ٧٢ - ٧٣ .
- ٥- آل عمران / ٥٩ - ٦٣ .
- ٦- التوبة / ٣١ - ٣٤ .
- ٧- الشورى / ١١١ .
- ٨- المائة ١٨ .
- ٩- النقرة / ١٣٤ .
- ١٠- النقرة / ١٢٥ .
- ١١- الشورى / ١٠٩ .
- ١٢- المائة ٣٤ .
- ١٣- المائة ٣٥ .
- ١٤- انظر في ذلك مثلاً أس حريز الطبري / جامع البيان / ٥ / ٣ . وأنش  
كثير / تفسير أس كثير / ٢ / ٨٦ . والسيوطي / الدر المنثور / ٢ / ١٢٩ - ١٣٨ .
- ١٥- سيد قطب / في ظلال القرآن / ٢ / ٩٦٦ - ٩٦٧ .

## المصادر والمراجع

لقرآن الكريم

إبراهيم خليل أحمد / إسرائيل والتلمود / مكتبة الوعر العربي / القاهرة /

١٩٨٣م

إبراهيم سليمان العبد / معاول الهدم والتدمير في الصراة وهي الشر / ط

٥ / عاثة كتبت / الرياض / ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م

بر تيمية / الحواب تصحيح من بدل دين المسيح / مطابع المجد التجاري

ابن حزم / رسائل ابن حزم الأندلسي / تحقيق د. إحسان عباس / ط ١ /

المؤسسة العربية للدراسات والشر / بيروت / ١٩٨١م

ابن حزم / الفصل في الملل والأهواء والنحل / تحقيق د. محمد إبراهيم نصر

ود عبد الرحمن عمرة / ط ٩ / مكتبات مكتبة / ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

ابن قتيبة / تأويل مختلف الحديث / تصحيح وسط محمد وهري النجار / دار

الجيل / بيروت / ١٣٩٣هـ - ١٩٧٠م

ابن قتيبة الجوزية / هدية الحيارى هي أحوية اليهود والنصارى / نعلق مصطفى

أبو النصر الشلي / ط ١ / مكتبة السوادى / حدة / ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

من كثير / المداية والنهاية / ط ١ / مطبعة السعادة / ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م .

ابن كثير / تفسير ابن كثير / دار الفكر / بيروت / ١٤٠٠هـ

ابن هشام / سيرة ابن هشام / تحقيق السقا والإبياري وشلي / ط ٢ /

مصطفى السبي الحلبي / ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م

د. أحمد سوسة / مفصل العرب واليهود في التاريخ / ط ٥ / دار الرشيد /

بغداد / ١٩٨٩م

- د. أحمد شلبي / اليهودية / ط ٤ / مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٤ء
- بر.- / إنجيل برنابا / ترجمة د. خليل سعادة / مكتبة محمد علي مسيح / القاهرة / ١٩٤٨ء
- الحافظ / رسائل الحافظ / تحقيق عبد السلام حاروي / ط ١ / مكتبة الحديث / ١٣٩٩هـ - ١٩٨٩م / ٣ / ٦٢
- مجموعة من اللاهوت المسيحيين / راب المحدث / مركز الدراسات المسيحية / بيروت
- رموف نور سمدة / من إعصار القرآن - العلم الأعظم في القرآن مفسرا بالقرآن / دار نهلال / القاهرة / ١٩٩٤م
- د. رموف شلبي / يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء / ط ٢ / دار الاعضاء / القاهرة / ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م
- النص وكري إبراهيم / الله واحد في الثالوث المقدس / ط ١ / مركز العبادة / السويس .
- السموأل من يحيى المغربي / إلهام اليهود / تحقيق د. محمد عبد الله الشرف-دي / الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والسفوة والإرشاد / الرياض / ١٤٠٧هـ
- سيد قطب / في ظلال القرآن / ط ١٠ / دار الشروق / ١٩٠٢ء - ١٩٨٢م
- السبوشي / القدر المنشور / ط ١ / دار الفكر / بيروت / ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
- العلامة شمر أحمد عثمانى / تفسير عثمانى ( بالأوردية ) / مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة .
- الأنبا شنودة / مقال « القرآن والمسيحية » / محله « نهلال » المصرية /

د. صابر طعيمة / الأسفار المقدسة قبل الإسلام / ط ١ / عالم الكتب / بيروت / ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م

صابر طعيمة / اليهود بين الدين والتاريخ / ط ١ / مكتبة النهضة المصرية / ١٩٩٢م

صلاح العجمي / حوض الإيمان في صحيح الأديان - أهل الكتاب / ط ١ / ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

الطبري / جامع البيان / دار الفكر / بيروت / ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م  
عباس محمود العقاد / موسوعة العقاد الإسلامية / ط ١ / دار الكتاب العربي / بيروت / ١٩٧٦م

القاضي عبد الجبار / تثبيت دلائل النبوة / تحقيق د. عبد الكريم عثمان / دار الفروية / بيروت

عبد الجليل شلبي / رد مقترحات على الإسلام / ط ١ / دار الفلم / الكويت / ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

د. عبد الحليم محمود / المتنقذ من الضلال لحجة الإسلام العراقي مع أبحاث في التصوف ودراسات عن الإمام العراقي / ط ٨ / دار الكتب الحديثة / ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م

عبد الرزاق بن همام الصنعائي / تفسر القرآن / تحقيق د. مصطفى مسلم / ط ١ / مكتبة الرشيد / الرياض / ١٤١٠هـ

أبو محمد عبد الله الترحمان السورقي / تحفة الأريب في الرد على أهل الضلال / دراسة وتحقيق وتعليق عمر وبيد الداعوق / ط ١ / دار الشائر الإسلامية

د. خليل عبد الرحمن وافي / الأسفار المقدسة في الأديان السائدة للإسلام /  
دار هبة مصر / القاهرة

د. حماد حسين علي / التوراة / القاهرة .

محرر الأدب الرازي / مشاطرة بني الروم على الكساري ، نعتين د. عبد المجيد  
النحار - د. العرب الإسلامي / سروت / ١٩٨٦م .

شرفي / الأخوة الفاحصة بين الأسئلة المعاصرة / نعتين د. بكر زكي عوض /  
ط ٢ / مكتبة رعية / ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

مكتبات المقدس / دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط

محمد جلال كشك / حواطر مسلم عن الجهاد والأحبار والأقليات / ط ٢ /  
دار ثالث / ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

محمد رشيد رضا / تفسير المنار / مكتبة القاهرة

د. محمد رغلول سلام / الأدب في العصر المملوكي / دار المعارف / القاهرة /  
١٩٧٩هـ

محمد عماد دروزة / تاريخ سب إسرائيل من أسفارهم / مكتبة العصرية / صيدا  
وبروت / ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م

محمد عزت الطهطاوي / محمد صلى الله عليه وسلم في الإسلام في التوراة  
والإنجيل والقرآن / ط ٢ / مكتبة النور / القاهرة

مشاطرة الكبرى بين التبشيع رحمة الله الهندي والدكتور الفيسس ممد / نعتين  
د. محمد عبد القادر خليل / ط ١ / دار اس ثنية / الرياض / ١٤٠٥هـ .

الموسوعة العربية المبصرة / دار الشعب / القاهرة

تحقيق د محمد عبد الله النمرودى ، شعوب / القاهرة ، ١٩٥٠ - ١٩٥٦ ،  
 ول ديورانت / قصة الحب ، ترجمة محمد بدراى / ط ٣ / لجنة التأليف  
 والترجمة والنشر / ١٩٨٠ .

ماقوت الحموى / معجم الأدباء ، ط ٣ / دار الفكر / ١٤١٠ هـ = ١٩٩٠ م .

Abdullah Yusuf Ali , The Holy Quran , Dar Al-Arabia , Beirut .

Basil Cottle , The Penguin Dictionary of Surnames .

Collier's Encyclopaedia , 1973 .

E. J. Brill's First Encyclopaedia of Islam .

Encyclopaedia of Islam , New Edition .

James Hastings , Encyclopaedia of Religion and Ethics ,  
 Edinburgh , 1971 .

Ludwig Ullman , Der Koran - Das heilige Buch des Islam ,  
 Goldmann , Munchen .

Muhammad Hamidullah , Le Saint Coran , Beyrouth , 1973 .

The Oxford English Dictionary

S. A. A. Maududi , The Meaning of the Qur'an , translated by  
 Muhammad Akbar , 2nd edition , Islamic Publications Ltd , Lahore ,  
 1978 .

Dr. Salah El-dine Kechrid , Al-Qur'an al-Karim , 5 ume edition ,  
 Dar el-Gharb el-Islami , 1990 .

Thomas Patrick Hughes , Dictionary of Islam , Premier Book  
 House , Lahore .

William Smith , Dictionary of the Bible , London , 1863 .



## الفهرست

- ١- رسالة الرد على النصارى ٥
- ٢- عبادة مريم ١٦
- ٣- عزيز ٢٦
- ٤- همام ٤٥
- ٥- يحيى ٨٨
- ٦- سورة النساء ٩٩
- ٧- كلام عيسى في المهدي ١١٦
- ٨- هل النصارى أقرب مودة من عمرهم للمسلمين ؟ ١٣٠
- ٩- المراجع والمصادر ١٤٣